

# الدلالات السياقية

لاقتران أسماء الله الحسنى في الفواصل القرآنية

دراسة بلاغية في سورة الأنفال

إعداد:

دكتورة/عزة أحمد مهدي علي

أستاذة البلاغة والنقد المساعد

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية

## مقدمة:

لاشك أن البحث الدلالي يحتل ذروة التأصيل الفني . في منظور النقد البلاغي واللغوي . حيث تتبلور الدلالة بلاغياً ولغوياً ونقدياً في آن واحد ؛ وذلك عند التفاصيل الدقيقة التي تجعل الدال علامة يرمز إليها بالأشكال، والمدلول إمارة يؤكد عليها بالمعاني، والعلاقة القائمة بينهما نتيجة محورية تتمخض عن النقائهما، والتفكير في استنباط هذه العلاقة التي هي جوهر الدلالة المتصورة ذهنياً حصيلة عملية فورية لافتراض الدال بالمدلول، أو اللفظ بالمعنى، أو الإطار بالمحتوى، أو بمختلف التعبيرات (المختلفة المنطوق، والمتحدة المفهوم). وقد روعي مطابقة عنوان البحث للمحتوى حيث يتم معالجة الدلالة السياقية للآية القرآنية والتي تناغمت عباراتها لتصل إلى فاصلة مناسبة لهذا السياق، والذي عرفه البلاغيون باسم (التناسب) أو (مراعاة النظير).

ولا يعتبر هذا البحث تحليلاً بلاغياً كما هو المعهود في تناول البلاغي للنصوص، ولكنها دراسة مختلفة تؤكد على أن الدلالة ليست مقصورة على مباحث علم البيان (المجاز والكناية) ؛ ولكنها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بعلم المعاني، حيث يشترط مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته، وهي بذلك تسير مع البيان جنباً إلى جنب، لأنه إذا أنكر شخص كرم زيد مثلاً فنقول له بطريق الكناية: " إن زيدا كثير الرماد " فإذا لم نأت له بالتأكيد لم يُعتد بهذه الكناية بالنظر إلى حاله، وتلك الحال هي التي وجهت السياق في الجملة . وانطلاقاً من عنوان البحث، ونظراً لأهمية البحث الدلالي في علم البلاغة، كان من الصواب من وجهة نظري أن يتعرض البحث . في إيجاز . للدلالة من حيث المفهوم في اللغة والاصطلاح، ومجالات علم الدلالة، وموضوعها . وعليه اقتضت خطة البحث أن يخرج في مبحثين يسبقهما مقدمة ويتلوها خاتمة .

**المبحث الأول :** ويشتمل على توضيح موجز للموضوعات الآتية:

١- مفهوم الدلالة وموضوعها

٢- الدلالة عند العرب وعند الغرب

٣- السياق ودوره في فهم النص القرآني وتحديد الألفاظ

٤- الفاصلة القرآنية وعلاقتها بسياق النص.

**المبحث الثاني:** التطبيق البلاغي على فواصل سورة الأنفال ويشمل:

**الخاتمة:** ذكرت فيها ملخصاً لهذا البحث وأهم النتائج التي استخلصتها من خلال عرض سياق الآيات الكريمة من سورة الأنفال.

**خامساً:** المراجع: لاشك أن كثرة المؤلفات في القرآن الكريم تجعل المرء عاجزاً عن الوفاء بمضمونها جميعاً، وهناك عدة تفسيرات يلجأ إليها البياني أو البلاغي منها التحرير والتنوير، والبحر المحيط والكشاف والجامع لأحكام القرآن وتفسير أبي السعود وابن كثير وغيرها.. هذا بالإضافة إلى المعاجم العربية قديمها وحديثها، وكتب البلاغة ومؤلفات في علم الدلالة وغيرها مما يخدم البحث ويثري موضوعاته.

**سادساً:** الفهرس: ويشمل محتوى البحث.

و كان منهجي في هذا البحث هو المنهج التكاملي الذي يجمع بين مناهج البحث المختلفة من أجل الوصول إلى أفضل النتائج فيظهر المنهج الاستقرائي التحليلي، والمنهج التاريخي (الذي يعرض بدء السورة وسبب نزولها)، والمنهج النفسي في دراسة جو النص والسر البلاغي للتعبير بدلالات مختلفة، والمنهج الفني الذي يُعنى بأسلوب النص ومعانيه .

قد آثرت الإيجاز بما لا يُخل بالمضمون الذي اقتنعت به وأردت توضيحه وهو:

١- أن البحث الدلالي، والسياقي أصيل في البلاغة العربية وهو يشمل جميع علوم البلاغة بلا استثناء.

٢- أن الدلالات الغربية الحديثة ما هي إلا بلاغة العرب القديمة، بألفاظ، ومصطلحات مختلفة، وينطبق عليها قول القائل (بضاعتنا رُدت إلينا).

٣- أن للفنون البلاغية المتعددة أسراراً عميقة ودقيقة ينبغي دراستها من خلال تأمل النص، ومراعاة السياق.

#### الدراسات السابقة:

لم أتمكن من الاطلاع على جهود من تناولوا الفواصل القرآنية، والأسماء الحسنى المقترنة؛ لا إهمالاً ولا تراخياً، ولكن لعدم توافرها في القرية التي أقيم فيها بالمملكة العربية السعودية، وكان هدفي من البحث تأكيد العلاقة بين الدلالات، وعلوم البلاغة، التي أرسى قواعدها العرب والمسلمون، فإن أصبت فمن الله وإن جانبني الصواب فمن نفسي والشيطان.

## المبحث الأول

**مفهوم الدلالة في اللغة:** من معاني لفظ (دل) في لسان العرب حول المعاني الآتية: دل: ما يستدل به، والدليل الدال. وقد دل على الطريق يدلّه (بفتح الدال أو كسرهما أو ضمها) والفتح أعلى. ويدور معنى (دل) في القاموس والمقاييس حول ذات المعنى الذي ذكره ابن منظور والذي يعني هدى وأرشد مما يدل على توفر عناصر الهدى والإرشاد فهناك مرشّد ومرشّد ووسيلة إرشاد وأمر مرشّد إليه وحين يتحقق الإرشاد تحصل الدلالة وهو ما عناه البلاغيون من (الدال والمدلول وما بينهما الدلالة) أو هي: كون الشيء بحيث يلزم من العلم به العلم بشيء آخر عند معرفة العلاقة.

**الدلالة في الاصطلاح:** هو ذلك العلم الذي يهتم بالمتغيرات التي تطرأ على الكلمة ومعناها، ويدرس الجزئيات التي تقع تحت هذا العلم.

أما موضوع علم الدلالة ومجالها: فهو العلم الذي يدرس الرموز بصفة عامة دراسة قائمة على أسس علمية، بوصفها أدوات اتصال يستعملها الفرد للتعبير عن أغراضه، وإذا كانت هذه الرموز حاملة للمعاني فإن موضوع علم الدلالة هو كل ما يقوم بدور العلاقة أو الرمز سواء أكان لغوياً أو غير لغوي، أو بتعبير اللغويين (الرموز الألسنية وشبه الألسنية). إلا أنه يركز على المعنى اللغوي فيبحث في العلاقة اللغوية في مجال الدراسة اللغوية، وما يعتري الكلمات من تغيير دلالي سواء بالتضييق أو بالتوسع (1)

١ - تضييق الدلالة: هو تقلص المعنى للكلمة الواحدة تبعاً للتطور الحضاري أو البيئي مثل كلمة ماتم كانت تطلق على التجمعات سواء سعيدة أو حزينة، أما في الحاضر فقد ضاق معناها وتقلص ليدل على الحزن، أما التوسع في الدلالة فهو أن تكتسب الكلمة معني =

### الدلالة عند العرب وعند الغرب :

وعلى الرغم من حداثة (المصطلح الدلالي) في الدراسات اللغوية و النقدية المعاصرة في منهج التحديث الأوربي، والتي تمتد جذورها قديما عند فلاسفة اليونان والهند، وعلماء العربية القدامى الذين أسهموا في وضع أصول وأسس لعلم الدلالة، وإن كانت ضعيفة بالقياس على التطور الدلالي الضخم الذي شهده العصر الحديث، إلا أن ذلك دليل على اهتمام العرب قديما بالمعنى، مما جعلهم ينظرون إلى اللفظ (الكلمة) على أنه النواة والركيزة الأساسية للوحدة الدلالية التي ينشأ عنها وحدات الكلام سواء كانت جملة أو عبارة أو تعبيرات اصطلاحية مثل العوض على الأيدي أي ندم وتحسر

ولعلماء العربية إسهامات واضحة في علم المعنى، فقد وضعوا أصولاً وأرسوا مفاهيم انبثقت من تصورهم للغة هذه الأصول والمفاهيم والتي تشبه إلى حد كبير المفاهيم والتصورات لعلم الدلالة المعاصر حيث أبانوا الآتي:

- أن الكلمة هي أساس الوحدة الدلالية ومنها تنشأ الوحدات الدلالية الأخرى، فمنها تبنى العبارة، وعنها تتركب الجملة ؛ لذا كانت موضع اهتمام العلماء بمختلف اتجاهاتهم.
- أن المعنى لا تتوقف معرفته فقط على اللفظ المفرد أو المركب في جملة ؛ ولكن للأصوات إحياءات دلالية تزيد في المعنى، كما أن لبنية الكلمة أثرها في إيضاح المعنى ؛ إذ يقوى بقوتها، ويزداد بزيادتها فزل لها معنى

---

=جديدة بمرور الزمن مثل كلمة عين التي تطلق على الجارحة وعين الماء والحسود والجاسوس وهكذا.....

٢- علم الدلالة عند العرب . بحث منشور في مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها . ج ١٥ ع ٢٧ جمادى الثانية ١٤٢٤ هـ

غير زلز، لأن الثانية تدل على تحرك واضطراب وأن الحدث فيها تكرر.

- احتمالات المعنى تنشأ من أمور كثيرة منها الغموض، ويأتي في مقدمتها عدم إحكام بناء الجملة واستعمال الألفاظ والأدوات التي لها أكثر من معنى، كما أن المشترك اللفظي دوره في احتمال المعنى.
- دلالات الألفاظ عرضة للتطور والتغير فمن أسباب تغير الدلالة الحاجة التي تؤدي إلى التوسع في معانيها، ونقلها على معان جديدة تملئها ظروف تغير المجتمع وتطوره.

إن علم الدلالة بالفعل هو ذلك العلم الذي يهتم بالمتغيرات التي تطرأ على الكلمة ومعناها، ويدرس الجزئيات التي تقع تحت هذا العلم، وفي تصوري أنه مصطلح أشمل مما اصطلح عليه البلاغيون، وهو كون الشيء بحيث يلزم من العلم به العلم بشيء آخر عند معرفة العلاقة، فالعلاقة في مصطلح البلاغيين تحصر الدلالة في علم البيان، فالعلاقة المقصودة هي المناسبة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي. أما المصطلح الأول فهو يشمل المتغيرات السياقية للكلمة فيدخل فيها المعاني والبيان والبديع.

هذا.. ومن المباحث اللغوية التي أثارها الدرس البلاغي بناء على العلاقات التي تجمع الدال بمدلوله مبحث (أقسام الدلالة وأنواع المعنى) فإذا كان تحديد معنى كلمة يتم بالرجوع إلى القاموس اللغوي، فإن ذلك لا يمكن أن

ينسحب على جميع الكلمات التي ترد مفردة أو في السياق، ولذا ميز اللغويون بين معان كثيرة أهمها (١)

- **المعنى الأساسي أو التصوري:** وهو المعنى الذي تحمله الوحدة المعجمية حينما تكون مفردة
- **المعنى الإضافي أو الثانوي:** وهو معنى زائد على المعنى الأساسي يدرك من خلال سياق الجملة.
- **المعنى الأسلوبية:** وهو المعنى الذي يحدد قيماً تعبيرية تخص الثقافة والاجتماع.
- **المعنى النفسي:** وهو الذي يعكس الدلالات النفسية للفرد المتكلم.
- **المعنى الإيحائي:** وهو ذلك النوع الذي يتصل بالكلمات ذات القدرة على الإيحاء نظراً لشفافيتها.

وتقسيم المعنى في علم الدلالة يخضع لمبدأ عام يتلخص في: أن القيمة الدلالية للوحدة المعجمية لا يمكن اعتبارها دلالة عامة، وإنما يخضع تحديد تلك القيمة لمجموع استعمالات هذه الصيغة في السياقات المختلفة، وقد قُسمت الدلالات اعتماداً على معايير أخرى ترتكز على الإدراك لطبيعة العلاقة بين قطبي الفعل الدلالي، وهو لا يخرج عن ثلاثة اعتبارات: العرف، أو الطبيعة، أو العقل، وعليه فالدلالة إما لفظية عرفية أو طبيعية أو عقلية، وأخضع علماء الدلالة تصنيف الدلالات بناء على أداء السياق للمعنى، فالكلام إما أن يساق ليبدل على تمام

١. انظر علم الدلالة من صفحة ١٧ إلى صفحة ٣٦ وما بعدها للدكتور / احمد مختار عمر

ففيه لمحة تاريخية مركزة عن نشأة علم الدلالة، وأهم المعالم في تاريخه . عالم الكتب . ط

سنة ١٩٩٨



معناه الحقيقي، أو المجازي وهي دلالة المطابقة، وإما ليذل على بعض معناه الحقيقي أو المجازي وهي دلالة التضمنين، وإما يساق ليذل على معنى آخر خارج عن معناه لازم له عقلا أو عرفا وهي دلالة الالتزام. وتتدرج هذه الدلالات الثلاث ضمن دلالة عامة هي الدلالة الوضعية التي هي أحد أقسام الدلالة اللفظية.

**السياق ودوره في فهم النص القرآني وتحديد دلالات الألفاظ:** أشار علماءنا إلى قاعدة ذهبية مضمونها: أن أفضل طريقة للتفسير هي تفسير القرآن بالقرآن<sup>(١)</sup>، وهذه الملاحظة تشير إلى منهج قويم في علم الدلالة "semantique" والذي عُرف اليوم بـ (المنهج السياقي)، وهو المنهج الذي جعل للسياق الدور الحاسم في فهم النصوص وتحديد معاني الألفاظ وضبط دلالاتها، فقد اتفق اللسانيون المعاصرون على أن علاقة الكلمة مع الكلمات الأخرى في "النص / الخطاب" هي التي تحدد معناها، ويؤكد زعيم المدرسة السياقية فيرث Firth أن اللغة وظيفة اجتماعية، فمعنى الكلمة لا يتحدد إلا من خلال الدور الذي تؤديه، ولهذا صرح بأن المعنى لا يكتشف إلا من خلال "تسييق الوحدة اللغوية" أي وضعها في سياقات مختلفة، وعليه فإن دراسة دلالات الكلمات تتطلب تحليلاً للأنماط السياقية والطبقات المقامية التي ترد فيها<sup>(٢)</sup>، وقد ركز أصحاب هذا الاتجاه على السياقات اللغوية التي ترد فيها الكلمة، ومدى أهمية البحث عن ارتباطاتها بالكلمات الأخرى، وذلك لأن معظم الوحدات الدلالية تقع في مجاورة وحدات أخرى، وأن معاني هذه الوحدات لا يمكن وضعها أو تحديدها

١. البرهان في علوم القرآن ٢ / ١٧٥ بدر الدين الزركشي

٢. يراجع علم الدلالة ص ٦٨ د/ احمد مختار عمر

إلا بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها، ومن ثمَّ فإنَّ دراسة تناسب الكلمة للسياق تستدعي تحليلاً للسياقات والمواقف التي تحتويها فكلمة واحدة قد تتنوع وتتوزع دلالاتها تبعاً للسياقات المختلفة، وهو ما يعرف في بلاغتنا العربية بالحقيقة والمجاز.

هذا.. وقد أدرك علماؤنا القدامى أهمية السياق في تحديد المعنى ودوره الحاسم في توجيه دلالات النصوص ولا سيما نص القرآن الكريم ؛ فابن قيم الجوزية (ت ٧٥١) يصرح بأن السياق يرشد إلى تبيين المجمل وتعيين المحتمل والقطع بعدم احتمال غير المراد وتخصيص العام وتقييد المطلق وتنوع الدلالة..... وهذه من أكبر القرائن الدالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظره وغالط في مناظرته<sup>(١)</sup>. ويشير ابن القيم في كلامه إلى مفهوم السياق الأصغر أو السياق الخاص للنص القرآني، ودوره في تحديد الدلالة، كما يشير إلى علاقة التكامل الوظيفي / الدلالي بين السياق الأصغر والأكبر ؛ إذ كثيراً ما يفسر أحدهما بالآخر أي (يفسر سياق بسياق)، فالسياق الأول (الأصغر) محدود ضمن وحدات دلالية أو تركيبية معينة / كآلية القرآنية مثلاً، أو ما يسبقها أو ما يلحقها من الكلمات أو الآيات، والسياق الثاني (الأكبر) يشمل ما بين دفتي المصحف لا تحده فواصل الآيات والسور والأجزاء، ونجد في تراثنا عناية الكثير من العلماء بالسياق الأصغر ويعتدون به في تحديد الدلالة ويتغافلون عن السياق الأكبر، ولكن الأصل في القرآن أنه منسجم متناسب أخذ بعضه برقاب بعض، وعلى الرغم مما قد يوجد من استثناءات توهي بعد المناسبة فإنه حقٌّ على المفسر أن

١. يراجع بدائع الفوائد ٤ / ٩، ١٠ ابن قيم الجوزية

يتطلب مناسبات لمواقع الآيات ما وجد إلى ذلك سبيلاً موصلاً<sup>(١)</sup>، ولكن عليه أن يتفادى التكلف في ذلك. وقد أشار د/محمد حماسة إلى أهمية السياق في الوصول إلى المعنى النحوي (الدلالي) فقال: "ولا تكون للعلاقة النحوية ميزة في ذاتها، ولا للكلمات المختارة ميزة في ذاتها ولا لوضع الكلمات المختارة في موضعها الصحيح ميزة في ذاتها ما لم يكن ذلك كله في سياق ملائم<sup>(٢)</sup>. فالسياق متضمن داخل التعبير المنطوق بطريقة ما، ولذا ركز النحاة على اللغة المنطوقة، فتعرضوا للعلاقة بين المتكلم وما أراد من معنى، والمخاطب وما فهمه من الرسالة والأحوال المحيطة بالحدث الكلامي<sup>(٣)</sup>

### الفواصل القرآنية وعلاقتها بسياق النص:

الفاصلة و جمعها فواصل: الخرزة تفصل بين الخرزتين في العقد. والفواصل هي مقاطع القرآن، ولا تسمى سجعاً، ولا قوافي. وهذا النوع من مخترعات قدامة كما قال ابن أبي الإصبع المصري، وسماه "التمكين" وعرفه بقوله: "هو أن يمهّد الناثر لسجعه فقرته والشاعر لقافية بيته تمهيداً تأتي به القافية في مكانها، مستقرة في قرارها مطمئنة في موضوعها، غير نافرة ولا قلقة، متعلقاً معناها بمعنى البيت تعلقاً تاماً، بحيث لو طرحت من البيت لاختل معناه، واضطرب مفهومه، وكل مقاطع أي الكتاب العزيز تُسمى فواصل. ومما جاء منه على "باب التمكين" قوله تعالى: "قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل

١. تفسير التحرير والتنوير ١ / ٨١ محمد الطاهر بن عاشور

٢. النحو والدلالة (مدخل لدراسة المعنى النحوي . الدلالي) ص ٥٢ د/ محمد حماسة عبد اللطيف ط ١ . القاهرة ١٤٠٣ / ١٩٨٣م

٣. دلالة الحوار ودورها في الدراسات النحوية . د/ كمال سعد أبو المعاطي (رسالة ماجستير) . كلية دار العلوم . جامعة القاهرة . سنة ١٩٩٠م

في أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحكيم الرشيد".<sup>(١)</sup> فإنه لما تقدم في الآية ذكر العبادة، وتلاه ذكر التصرف في الأموال، اقتضى ذلك ذكر الحلم، والرشد على الترتيب، لأن الحلم والعقل الذي يصح به تكليف العبادات، ويحض عليها، والرشد: حسن التصرف في الأموال. وفي قوله تعالى: " قيل ادخل الجنة قال ياليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين"<sup>(٢)</sup> وقد نزل القرآن الكريم بلغة العرب و لكنه تفوق عليها بأسلوبه الجميل المتفرد في كل صوره ومظاهره، فجاء بكلام معجز لا قبل لبشر بأن يأتي بمثله لفظاً أو معنى...

وصور الإعجاز في لغة القرآن كثيرة متنوعة، منها اختياره للألفاظ بدقة عجيبة، حتى لا تجد لفظاً يمكن استبداله بآخر دون تغيير المعنى، ومنها دقة التركيب والنظم، ومنها الإيقاع الجميل في تراكيبه وجرس ألفاظه، ومنها كذلك توزيع الحروف على مساحات الكلام بين مجهور ومهموس ومفخم ومرفق وشفوي وحلقي وأسنان... إلخ، بحيث لا تجد كلمة صعبة النطق ولا قلقة في موضعها إذا أحسن إخراج كل حرف من مخرجه.

على أن واحداً من صور الإعجاز تلك يتمثل في فواصل آياته، والفاصلة فيه لون مميز من ألوان السجع في هذه اللغة، والفاصلة القرآنية قد تكون كلمة من بنية آية قصيرة، وقد تكون كلمة من بنية جملة تأتي في نهاية الآية معقبة أو مقررة أو مؤكدة... إلخ، وهي في كل الحالات تنتهي بصوت قد يتكرر محدثاً إيقاعاً في صورة السجع وقد لا يتكرر، ولكنها دائماً تحتفظ بإحدى صور التوافق الصوتي مع الفواصل السابقة واللاحقة لإحداث الإيقاع، كأن تكون الكلمتان

١ - سورة هود، آية ٨٧ ، وانظر المعجم المفصل في علوم البلاغة ص ٨ د/ إنعام فؤال عكاوي . مراجعة شمس الدين . ط الأولى ١٤١٣ هـ . ١٩٩٢م دار الكتب العلمية بيروت .

لبنان

٢ . سورة يس آية (٢٦ ، ٢٧)

على زنة واحدة أو من فصيلة صرفية واحدة أو غير ذلك يقول الزركشي: " اعلم أن من المواضع التي يتأكد فيها المناسبة، مقاطع الكلام وأواخره، وإيقاع الشيء فيها بما يشاكله، فلا بد أن تكون مناسبة للمعنى المذكور أولاً وإلا خرج الكلام عن بعض، وفواصل القرآن العظيم لا تخرج عن ذلك، ومنه ما يُستخرج بالتأمل للبيب ".<sup>(١)</sup>

وحين نتكلم عن الفاصلة في هذا البحث نقصد إلى علاقتها بسياق الآية الموصلة إليها، وهو ما يُسمى الائتلاف أو مراعاة النظير أو التناصب أو التوافق<sup>(٢)</sup>، وقد جاءت الفواصل القرآنية متألفة تمام التآلف مع آياتها، مؤدية دورها في إتمام المعنى، وإيصاله على نحو بديع معجز، ولو تكلف متكلف فاستبدل الفاصلة بغيرها لما استطاع وما وجد غيرها ليناسب المعنى والإيقاع معاً، فالقرآن الكريم يختار الفاصلة في دقة عجيبة تدل على إعجاز بياني، فهي من جهة الدلالة تتوافق مع مضمون الآية، ومن جهة الصوت تتوافق مع الإيقاع العام للآيات السابقة واللاحقة، حتى إن السامع إذا كان ذا نظر ثاقب بفن الكلام وسجع الفاصلة أدرك موقعها من الكلام

١ . يراجع البرهان في علوم القرآن للزركشي ج /

٢ ومراعاة النظير في اصطلاح البلاغيين: أن يجمع الناظم أو الناثر أمراً وما يناسبه مع إلغاء ذكر التضاد، لتخرج المطابقة، سواء كانت المناسبة لفظاً لمعنى، أو لفظاً للفظ، أو معنى لمعنى إذ القصد جنح الشيء إلى ما يناسبه من نوعه أو ما يلائمه من أحد الوجوه... يراجع المعجم المفصل في علوم البلاغ ص٧ وما بعدها، ويدخل في ذلك ما يعرف لدى البلاغيين بالإرصاد أو التسهيم أو التوشيح وهو أن يجعل قبل العجز من الفقرة أو البيت ما يدل على العجز إذا عرف الروي، فالكلام الجيد ما دلت موارده على مصادره، وكشف أوله عن آخره.

## المبحث الثاني التطبيق البلاغي في سورة الأنفال

### بين يدي سورة الأنفال:

نزلت سورة الأنفال في غزوة بدر (في شهر رمضان) من العام الثاني من الهجرة، بعد تسعة عشر شهراً من الهجرة على الأرجح.

والأنفال سورة مدنية إلا ما تذكره بعض الروايات أن بعض الآيات من الثلاثين إلى السادسة والثلاثين مكية، وهي من قوله تعالى: "وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك..... إلى قوله تعالى:"..... والذين كفروا إلى ربهم يُحشرون " (١) وهذا أمر غير مؤكد ؛ لاعتبارات متعددة لا مجال لذكرها هنا.

آيات سورة الأنفال ست وسبعون آية، ومعنى الأنفال: الغنيمة، وسميت بذلك ؛ لأنها عطية من الله تعالى زائدة على ما هو أصل الأجر في الجهاد من الثواب الأخروي، ويطلق على ما يُعطى بطريق التنفل زيادة على السهم (٢).

وفي سبب نزول هذه السورة الكريمة يقول ابن مسعود: "رُوي أن المسلمين اختلفوا في غنائم بدر وفي قسمتها فسألوا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كيف تُقسم ؟ ولمن الحكم فيها أَللمهاجرين أم للأَنْصار أم لهم جميعاً ؟

وقيل: "إن الشباب قد أبلوا بلاء حسناً فقالوا نحن المقاتلون ولنا الغنائم، وقال الشيوخ الذين كانوا عند الرايات رداءً لهم... والله ما منعنا أن نطلب ما طلب هؤلاء زيادة في الأجر، ولا جبن من العدو، ولكن كرهنا أن نعري مصابيحك فيعطف عليك خيل من المشركين، فنزلت، وقيل: "كان النبي (صلى الله عليه

١. في ظلال القرآن ٣ / ١٤٣١ سيد قطب . دار الشروق

٢- تفسير أبي السعود ٤ / ٢٢٤

وسلم) قد شرط لمن كان له بلاء أن ينقله ولذلك فعل الشبان ما فعلوه من القتل والأسر فسألوه (صلى الله عليه وسلم) ما شرطه لهم فقال الشيوخ: المغنم قليل والناس كثير، و"ن تعط هؤلاء ما شرطت لهم حرمت أصحابك، فنزلت، والأول أظهر" (١)

الدلالات السياقية لأسماء الله الحسنى المقترنة في السورة:

أولاً: الدلالات السياقية للاسمين الجليلين (العزير الحكيم):

اقترن الاسمان الكريمان في أواخر الآيات من سورة الأنفال في أربعة مواضع هي:

قوله تعالى: "وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم" آية ١٠

قوله تعالى: "إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز حكيم" آية ٤٩

قوله تعالى: "وألف بين قلوبهم، لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم" آية ٦٣

قوله تعالى: "ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض، تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم" آية ٦٧

المعنى العام للأسماء الحسنى (العزير . الحكيم)

١- العزير: المعنى: العزُّ خلاف الذل، وهو في الأصل القوة والشدة والغلبة، والعزُّ: الرفعة والامتاع. قال الزجاجي (ت ٣١١هـ): العزير هو الممتع الذي لا يغلبه شيء، وقال غيره: هو القوي وقيل: هو الذي ليس كمثل شيء (٢)

١ . السابق ٣ / ٢٢٤ ، ٢٢٥

٢ . يراجع لسان العرب لابن منظور ٥ / ٣٧٤ ، ٣٧٥

فالعزة تتضمن القوة " والله القوة جميعاً " يُقال عز يعز بالفتح إذا اشتد وقوي ومنه الأرض العزاز الصلبة الشديدة وعز يعز بكسر العين إذا امتنع ممن يرومه، وعز يعز بضم العين إذا غلب وقهر، فأعطوا أقوى الحركات وهي الضمة لأقوى المعاني وهو الغلبة والقهر للغير، وأضعفها وعو الفتحة لأضعف المعاني وهو كون الشيء في نفسه صلباً ولا يلزم من ذلك أن يمتنع عن يرومه، والحركة المتوسطة وهي الكسرة للمعنى المتوسط للمعنى المتوسط وهو القوي الممتنع عن غيره، ولا يلزم منه أن يقهر غيره ويغلبه، ولا ريب أن قهر المربوب عما يريده من أقوى أوصاف القدر فإن قهره عن إرادته وجعله غير مرید كان أقوى أنواع القهر. والعز ضد الذل والذل أصله الضعف والعجز أما العز فيقتضي جمال القدرة، ولهذا يوصف به المؤمن ولا يكون ذماً له بخلاف الكبير<sup>(١)</sup>

وقد ذكر الإمام القرطبي أقوال مختلفة للعلماء في معنى اسم (العز) وحاصلها: هو المنيع الذي لا يُرام، وهو القاهر الذي لا يُغلب، وهو القوي الشديد، وهو النفيس الذي لا يعدله شيء، وعزة الله تجتمع فيها كل هذه المعاني المذكورة.<sup>(٢)</sup>

٢- الحكيم: و" الحكيم " على وزن فعيل، وهو عند النحاة من صيغ البالغة والتكرار<sup>(٣)</sup> ويأتي بمعنى مفعول أي محكم من الأحكام وهو الإتيان.

والحكيم من الحكمة: وهي وضع الشيء في موضعه، وفي المنهاج: معنى الحكيم: الذي لا يقول ولا يفعل إلا الصواب، وإنما ينبغي أن يوصف بذلك؛ لأن أفعاله سديدة، وصنعه متقن، ولا يظهر العمل المتقن السديد إلا من حكيم.<sup>(٤)</sup>

١ - الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية ص ١١٨ . محمد خليل هراس ط ٢ دار الهجرة /

الرياض ط ٢ عام ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م

٢ . يراجع الجامع لأحكام القرآن . للقرطبي ٢ / ٨٩

٣ . الخصائص لبن حني ٢ / ٥١٠ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . المكتبة العصرية . صيدا

. بيروت



### المناسبة:

تختلف الدلالات السياقية المناسبة لاقتراح الاسمين الجليلين من آية إلى أخرى ففي الآية الأولى اقترن الاسمان في ختام آية تقرر حقيقة اعتقاده يلفت النظر القرآني الانتباه إليها، وهي أن النصر لم يكن ولا يكون إلا من عند الله.... " يقول تعالى: " إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين، وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله، إن الله عزيز حكيم " الآيتين ٩، ١٠ حيث تصف الآيات جو المعركة وملابساتها ومواقفها، وحال المسلمين وقتئذ، وكيف دبر الله لهم ما يبشرهم ويطمئن قلوبهم.

إن القارئ للآيات يجد جو المعركة حياً أمامه، فيعيش إحساس الخوف من قلة العدد والعدة، ويستشعر التوجه بالتذلل والتضرع وطلب العون من الله ثم إجابة الله للاستغاثة وإمدادهم بالملائكة مردفين ليبشرهم وتطمئن به قلوبهم، أما النصر فلا يكون إلا بإرادة الله وأمره، حتى لا يعتقد المسلم أن النصر كان بسبب من الأسباب السابقة من استغاثة أو إمدادات أو غيرها، وهاهو السياق القرآني يستخدم ألفاظ اللغة وتراكيبها لاستحضار صورة المعركة المنتهية؛ لاتخاذ العبرة والعظة منها على طول الدهر. فاستخدم في السياق (إذ) ناظراً إلى زمان وقوع المعركة. وصيغة الاستقبال " تستغيثون " حكاية للحال الماضية، واستحضار

---

١ - يراجع شرح العقيدة الواسطية ص ٩١ محمد خليل هراس ط ٢ دار الهجرة / الرياض،  
والمنهاج في شعب الإيمان ١ / ٩١ تحقيق حلمي محمد فودة

الصورة العجيبة لما حدث وقتئذٍ. وقيل متعلق بمضمر مستأنف أي: اذكروا وقت استغاثتكم.<sup>(١)</sup>

وأما قصة الاستغاثة فقد ذكر المفسرون ما رواه الإمام أحمد . بإسناده . عن عمر ابن الخطاب . رضي الله عنه . قال: " لما كان يوم بدر نظر النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى أصحابه وهم ثلاثمائة ونيف، ونظر إلى المشركين فإذا هم ألف وزيادة، فاستقبل النبي (صلى الله عليه وسلم) القبلة، وعليه رداؤه وإزاره ثم قال: " اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام فلا تعبد في الأرض أبدا " قال: " فما زال يستغيث ربه ويدعوه حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداؤه فردّه ثم التزمه من ورائه ثم قال: " يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك فأنزل الله عز وجل: " إذ تستغيثون ربكم فاستجاب... الآية، لذا ناسب هذا المقام استعمال العطف ب (الفاء) للدلالة على سرعة إجابة الدعاء، الذي يحمل البشرى بالنصر ويفسره سياق الآية، إن قارئ النص القرآني يشعر بالطمأنينة والراحة والاستبشار عند وصوله إلى قوله: " فاستجاب لكم " ثم تأكيد الجملة ب (أن) مضافة إلى ضمير المتكلم العائد إلى الله عز وجل تشريفاً وتعظيماً، بل وتأكيداً يناسب جلال الموقف، والتعبير باسمية الجملة نوع آخر من التثبيت والتثبيت لدلالة (مدمكم) على ثبوت المدد والعون من الله. ولكن هل كان دعاء الرسول هنا أو التأكيد في الآية لدفع الشك أو الإنكار في معية الله للمؤمنين ونصره لهم، إننا نستشعر هنا الأسلوب التعليمي من الرسول للمؤمنين ثم في التعبير القرآني عن الإجابة، فالأخذ بالأسباب هي سمة المؤمن الحق وهي سنة أنبياء الله كما قال سليمان . عليه السلام . " أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين " وكما قال يوسف الصديق

١ . تفسير أبي السعود ٢ / ٢٢٩

" اذكرني عند ربك " فهذا من التوكل على الله مع الأخذ بالأسباب ودونه التوكل وهو مرفوض من كل مسلم، أما التوكل على الله فيعقبه تحقق الغاية لا محالة ولذا كان دعاء الرسول ثم استجابة الله له.

والعدد (ألف من الملائكة) إلى جانب كونه عدداً حقيقياً، فإن له بإذن الله قوة تأثير في نفوس الجنود، فضلاً عما يلقيه في قلوب السامعين من الطمأنينة والبهجة للكثرة التي يوحى بها العدد، مع كونهم من الملائكة وقوتهم مضاعفة، وكلها ألفاظ تجري في سياق يخدم معنى التثبيت والتبشير، ويمهد لفاصلة الآية وختمها بما يدل على قوة الله وحكمته (عزيز حكيم). وقد جاءت جملة القصر " وما جعله الله إلا بشري لكم " بطريق الاستثناء المفرغ الذي يحمل معنى التأكيد على أنها أسباب ظاهرة ليست لها علاقة بالنصر الذي اختصهم به فضلاً منه تعالى، أي: وما جعل إمدادكم بإنزال الملائكة عياناً لشيء من الأشياء إلا للبشري لكم بأنكم تُنصرون، ولتطمئن بهذا الإمداد قلوبكم وتسكن إليه نفوسكم. يعقب ذلك قصر آخر بطريق التقديم والتأخير فقدم الجار والمجرور (ولتطمئن به قلوبكم) مؤكداً على أهمية الجند الإلهي في طمأنة المسلمين وتثبيتهم، فركزت الآية على ما أهمهم وهو رغبتهم في تكثير العدد الذي يبيت فيهم الثقة بالنصر، بينما جاءت الآية في سورة آل عمران بتقديم (القلوب) على الجار والمجرور لاختلاف الحال والمقام فقال تعالى: "... ولتطمئن قلوبكم به..."<sup>(١)</sup> حيث تركز الآية على مواساة المؤمنين لما أصابهم من القرح، فهم على هذه الحال بحاجة إلى طمأنة القلوب، وإلى البشري؛ لأن حالتهم النفسية ليست كما كانت في غزوة بدر فهم مهزومون في يوم أحد والحال تقتضي تهدئة القلوب وتصبيرها.

١. سورة آل عمران الآية ١٢٦

وقبل ختم الآية يأتي القصر الثالث بطريق النفي والاستثناء وهو أقوى وأوضح طرق القصر ليوحى بما لا شك فيه أن النصر لا يكون إلا من عند العزيز الحكيم وهذا واضح جلي كوضوح التأكيد في (ما وإلا) لا شريك له من جهة السبب أو العدد. وإنما هو أسلوب تعليمي ينبغي مراعاته لنبذ التواكل وعدم العمل للأخذ بالأسباب.

وأخيراً.. تأتي فاصلة الآية مناسبة لدلالة الآية وسياقها تمام المناسبة " إن الله عزيز حكيم " وهو خبر يؤكد على أن الله لا يغالب في حكمه، ويفعل كل ما يفعل حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة، وفي رأيي أن التناسب بين دلالة سياق الآية وفاصلتها جاء من وجوه مختلفة أهمها:

١. التأكيد: فلو لم تؤكد الفاصلة (إن الله عزيز حكيم) لما ناسب سياق الآية الذي اشتمل على عدة مؤكدات (أني ممدكم . وما جعله الله إلا بشري . ولتطمئن به قلوبكم . وما النصر إلا من عند الله) وجاء التأكيد في ختم الآية لدفع أي وهم في غلبته تعالى وقهره، وحكمته البالغة في وضع الأمور في نصابها وفق ما تقتضيه الحكمة.

٢. الفصل بين فاصلة الآية وأولها ؛ لشبه كمال الاتصال، وهو نوع آخر من التأكيد على تلاحم السياق، وترابطه ترابطاً تاماً، وهو أحد أسباب جودة السبك التي تميز بها أسلوب القرآن الكريم.

٣- التعليل: فالجملة تعليل لما قبلها يقتضيه المقام وسياق الآية ودلالاتها ؛ للإشعار بأن النصر الواقع على الوجه المذكور من مقتضيات الحكمة البالغة. وقد يتبادر إلى الذهن سؤال عن مدى استيعاب هذه الأسماء والصفات المقترنة لمناسبات متعددة في القرآن أو بمعنى آخر: كيف تتناسب ذات الأسماء المقترنة مع اختلاف موضوع الآية وسياقها بحيث لا يناسبه غيرها ؟

وللإجابة عن ذلك نعرض فيما يلي الآيات التي هي موضوع البحث لنستبين كيف ناسب (العزیز الحكيم) سياق كل آية مع اختلاف المقام في كل مرة. في الآية الثانية: قوله تعالى: " إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز حكيم " آية ٤٩ يرسم النظم القرآني بالألفاظ صورة رائعة لمشهد مختلف من مشاهد المعركة القائمة، ويعطي درساً آخر من الدروس المستفادة في هذه المعركة التي يظهر فيها معادن الناس وقوة إيمانهم.

في هذا المشهد تظهر جماعة من المنافقين والذين في قلوبهم مرض<sup>(١)</sup> وقد دب بينهم الرعب والخوف لما رأوا قلة عدد المسلمين وكثرة عدد المشركين، فقالوا تلك المقالة: "غر هؤلاء دينهم" حيث تنطق الألفاظ المكتوبة بالسخرية واستهزاء والتعجب من تلك الطمأنينة بالنصر التي أنزلها الله على المسلمين، وربما من الجرأة على خوض معركة غير متكافئة من وجهة نظرهم المحدود.

استخدم النظم القرآني في رسم هذه الصورة البداية ذاتها التي بدأ بها الآية السابقة فعبر بظرف الزمان الدال على الماضي " إذ " معقباً بالمضارع " يقول " لحكاية الحالة الماضية واستحضارها والمراد من المنافقون في الآية هم الذين يظهرون

١ - وهم جماعة من الذين مالوا إلى الإسلام في مكة، ولكن لم تصح عقيدتهم ولم تطمئن قلوبهم. وفيهم يقول البغوي في تفسيره: هؤلاء قوم كانوا مستضعفين بمكة قد أسلموا، وحبسهم أقربائهم من الهجرة، فلما خرجت قريش إلى بدر أخرجوهم كرهاً، فلما نظروا إلى قلة المسلمين ارتابوا وارتدوا، وقالوا: غر هؤلاء دينهم، فقتلوا جميعاً منهم: قيس بن الوليد بن المغيرة، وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة المخزوميان، والحارث بن زمة بن الأسود بن المطلب، وعلي بن أمية بن خلف الجمحي، والعاص بن منبه بن الحجاج. البحر المحيط لأبي حيان ٣/٣٣٥، وانظر تفسير البغوي ص ٣٦٨

الإيمان ويبطنون الكفر<sup>(١)</sup> أما الذين في قلوبهم مرض، فهم أشد؛ فمرض القلب أعم من النفاق؛ لأن النفاق يدخل فيه إظهار الإسلام فهو شرك، أما المرض فيدخل فيه الكفر فهو أعم<sup>(٢)</sup> ويرى أبو حيان أن قوله تعالى: "في قلوبهم مرض" كناية عن فساد العقيدة<sup>(٣)</sup>، بينما يرى ابن عاشور أنه تشبيه على تقدير المشبه وهم المشاركين في هذه الغزوة بدليل استخدامهم لأسلوب الإشارة (هؤلاء)<sup>(٤)</sup> وقد استخدم القرآن مرض القلب للدلالة على فساد العقيدة في (ثلاثة عشر موضعاً)<sup>(٥)</sup> وهي على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية ومرض القلب من أشد الأمراض على الإنسان وقد دلل به على فساد العقيدة والنفاق وهو من أقبح الصفات في الإنسان ويختار النص القرآن الحرف (في) ليدل على تغلغل تلك الصفة وتمكنها من صاحبها واشتمالها عليه كما يتغلغل صاحب الدار في داره لتحتويه بداخلها، والقلب مكان لكثير من المعاني كالنسيان في قول المتنبي

يراد من القلب نسيانكم وتأبى الطباع على الناقل  
والكلام قبل خروجه على هيئة ملفوظة أو مكتوبة يُصاغ في القلب والعقل كما  
يقول الشاعر:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جُعل اللسان على الفؤاد دليلاً  
وكما يكون المرض في القلب يكون (مجمع الأضغان) كما في قول عمرو بن  
معد يكرب:

١. والمنافق عامة هو: من يظهر خلاف ما يبطن

٢. يراجع البحر المحيط ٣/ ٣٣٥

٣ السابق

٤. تفسير التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور ٣٨/١١

٥ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص ٦٦٤ وضعه: محمد فؤاد عبد الباقي . دار الفكر

١٩٨٦ / ١٤٠٦ م

الضارين بكل أبيض مخدم والطاعين مجامع الأضغان  
أما تكبير لفظ المرض فقد ناسب السياق أيضاً إذ يشمل الكفر والشرك، فالتكبير  
للتنوع والشمول والاستئناف البياني في قوله تعالى: " غرَّ هؤلاء دينهم " يدل على  
التلاحم بين جمل النص القرآني حيث يأتي الفصل بترك العطف دليلاً على شدة  
الوصل أو الصلة بين الجمل.

والغرور في الآية: الإيقاع في المضرة بإيهام المنفعة<sup>(١)</sup> قال تعالى: " لا يغرنك  
تقلب الذين كفروا في البلاد..".<sup>(٢)</sup>، وإسناد الغرور إلى الدين من إسناد الفعل إلى  
سببه باعتبار ما في هذا الدين من الوعد بالنصر والتثبيت<sup>(٣)</sup>، وفي طريقنا  
للتأمل في ائتلاف مضمون الآية مع فاصلتها المختمة باسم الله (العزیز الحكيم)  
نلاحظ ما أضافه الوصل بالواو إلى سياق النص " ومن يتوكل على الله " ليدل  
على قطع الكلام السابق عن اللاحق حيث لا يدخل في جملة القول، ولكنها  
معطوفة على الجمل الخبرية في الآيات السابقة على هذه الآية وترتبط بفاصلة  
الآية " فإن الله عزيز حكيم " .

والتوكل: الاستسلام والتفويض قال تعالى: "..... فإذا عزمتم فتوكل على  
الله...."<sup>(٤)</sup>، و" من يتوكل على الله " جملة شرطية تضع الأمور في نصابها  
وترسم لكل طريقه وتجعل المتلقي يستشرف لما بعد الشرط من الجزاء فيجد قوله  
تعالى " فإن الله عزيز حكيم " ليعلم الجميع أن من خاف ورجع عن إيمانه في  
مثل هذا الموقف الجلل خسر الدنيا والآخرة، ومن توكل على الله وأسلم أمره إليه  
تعالى وأيقن بمعيته وتوفيقه فإن الله عزيز حكيم.

١ . والغرور: من غرَّ بغيره بالضم غرورا: خدعه يُقال ما غرك بفلان أي كيف اجترأت عليه.

٢ . سورة آل عمران الآية ١٩٦

٣ . وهذا ما يسمى بالمجاز العقلي أو الحكمي

٤ . سورة آل عمران الآية ١٥٩

وربما يوحي قوله تعالى " ومن يتوكل على الله "، بأن تختتم الآية بـ (فإن الله يحب المتوكلين) أو (فهو حسبه) كما في بعض الآيات<sup>١</sup>، فجاءت الفاصلة مخالفة لظن العامة وموافقة للمقام ودلالة السياق حيث جاء اقتران الاسمان " العزيز الحكيم " في مقام الامتنان على هؤلاء المتوكلين بالنصر لهم وإلحاق الخيبة بظن المشركين والكفار الظانين بالله ظن السوء لذا جاء الخبر مؤكداً بـ (إن واسمية الجملة) على أنه تعالى (عزيز) لا يذل من توكل عليه، واستجار به، (حكيم) يفعل بحكمته البالغة ما تستبعده العقول وتحار في فهمه ألباب الفحول، وقد حُذف جواب الشرط إيجازاً لدلالة المذكور عليه<sup>(٢)</sup>.

أما تكرار لفظ الجلالة (الله) فهو من وضع الاسم الظاهر موضع الضمير؛ لزيادة التمكن والتقرير، وقوة تثبيته في الأنفس والسرائر، فالتعبير بالاسم الظاهر في هذا المقام أبلغ وأقوى في الدلالة على المراد وهو تأكيد بطرق التكرار يضاف إلى التأكيد بأن لمناسبة مقام بث الطمأنينة والثقة في نفوس المسلمين والتلقين للنص القرآني بعد ذلك. ويتكرر هذا الأسلوب في القرآن الكريم ومنه قوله تعالى " وبالحق أنزلناه وبالحق نزل " <sup>(٣)</sup> وقوله تعالى " أولم يروا كيف يُبدئ الله الخلق ثم يعيده إن ذلك على الله يسير \* قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير " <sup>(٤)</sup>

- ١ . وتعتبر فاصلة الآية من مشكلات الفواصل التي أشار إليها السيوطي ومثل لها بعدة من القرآن الكريم ليس من بينها هذه الآية . يراجع الإتيان في علوم القرآن ٢ / ١٠٣ لجلال الدين السيوطي . دار الندوة الجديدة . بيروت . لبنان
- ٢ . يراجع تفسير أبي السعود ٢ / ٢٤٢
- ٣ . سورة الإسراء الآية ١٠٥
- ٤ . سورة العنكبوت الآيتين ١٩ ، ٢٠



وفي الآية الثالثة من هذا البحث يقول تعالى: " وألف بين قلوبهم، لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم " آية ٦٣  
المعنى والمناسبة: (١)

الآية الكريمة متممة للآية السابقة عليها في السورة وهي قوله تعالى " وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين " الآية ٦٢ وقد ذكرت هذه الآيات في أول التلث الأخير من سورة الأنفال، التي تتضمن الكثير من القواعد التي ينبغي مراعاتها في السلم والحرب والعلاقات بين المسلمين أنفسهم، وعلاقات المسلمين مع غيرهم وموقفهم من المعاهدين والخائنين للعهد.. إلى غير ذلك... وقد تنوع أسلوب الآيتين بين فصل ووصل وتقديم وتأخير، وتأکید للخبر حتى تألفت وتضافرت جمل الآيتين لبيان فضل الله . عز وجل . على نبيه المصطفى (صلى الله عليه وسلم)، إنها نعمة كبرى تلك التي أولاهها رسوله الكريم، حيث أیده بالنصر، والتأليف بين القلوب المتشاحنة ويا لها من نعمة.

إن في الآيتين المتلاحتين جملة وقعت في جواب الشرط " فإن حسبك الله " إنها جملة يهتز لها كيان المؤمن، جملة لو تأملها الإنسان لترك الأمر كله ؛ فمن ذا الذي لا يكفيه أن يكون حسيبه الله وكافيه؟! إنه وحده الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور. يقول أبو السعود في تفسيره: " فاعلم بأن محسبك الله من شرورهم وناصرك عليهم " (٢).

١ - قيل نزلت في الأوس والخزرج ؛ كان بينهم احن لا أمد لها، ووقائع أفنت سادتهم وأعاضهم ودقت أعناقهم وجماعهم فأنسى الله عز و جل جميع ذلك وألف بينهم بالإسلام حتى تصافوا وأصبحوا يرمون عن قوس واحدة وصاروا أنصاراً.. تفسير أبي السعود

٢٤٧/٢، تفسير ابن كثير ٨٥/٤

٢ . تفسير أبي السعود ٢٤٦ / ٢

حسبك: صفة مشبهة بمعنى اسم الفاعل، أى حاسبك، وكافيك، وجملة " فإن  
حسبك الله " خبرية مؤكدة للتأييد والكفاية المذكورين في الآية.

وفي سياق التلاؤم والتناسب في الآية جاء قوله تعالى " هو الذي أيدك بنصره  
وبالمؤمنين " خبر مفصول عن الجملة السابقة عليها وذلك للاستئناف البياني،  
حيث تثير الجملة الأولى سؤالاً عن كيفية كفاية الله له (صلى الله عليه  
وسلم) فتأتي جملة " هو الذي... " جواباً عن السؤال المتضمن في الجملة الأولى،  
وقد استخدم النظم القرآني ألفاظاً تناسب المقام وتتألف مع السياق لفظاً ومعنى ؛  
فناسب المقام مجيء الجملة الخبرية تقدم فيها المسند إليه ضميراً لتقدم ذكره  
تعالى، ومؤكداً ذلك بالاسم الموصول.

ثم اختيار اللفظ " أيد " وهو أصل واحد يدل على القوة والحفظ، أما القوة فمنها  
قوله تعالى " على سبيل التورية " والسماء بنيناها بأيد وأنا لموسعون "، وأما  
الحفظ فالإياد: كل حاجز الشيء بحفظه قال ذو الرمة:

دفعناه عن بيضٍ حسانٍ بأجرعٍ حوى حولها من ثربه بإيادٍ<sup>(١)</sup>

وكلاهما يناسب المقام، ويتلاءم مع سياق النص في الآية (قواك وحفظك).  
واختيار لفظ " ألف " الذي يدل على " انضمام الشيء إلى الشيء والأشياء  
الكثيرة إلى بعضها، يقال ألفت الشيء ألفه وإلفاً وأنا ألفت، وألفته وأنا مؤلف.  
وأهل الحجاز يقولون: ألفت المكان والقوم وألفت غيري أيضاً حملته على أن  
يألف " <sup>(٢)</sup>

ومما ناسب المقام أيضاً ووفق بين مضمون الآية وفاصلتها على سبيل المجاز  
المرسل لعلاقة الجزئية، ذكر القلوب، ولو قيل في غير القرآن (ألف بينكم) لجاز

١ . مقاييس اللغة لابن فارس ١ / ١٦٣

٢ مقاييس اللغة ١ / ١٣١

التعبير، فالتأليف بين الأبدان ممكن الوقوع، أما التأليف بين القلوب فلا يستطيعه سوى العزيز الحكيم، والقلب هو موطن الكثير من المعاني كما سبق ذكره، ولا يُعتد بالإلف إلا ما خرج من القلب، حتى لا توصف بـ (هدنة على دخن) كما وصفها الرسول (صلى الله عليه وسلم) والله أعلم

ثم لتأمل كيف يؤدي أسلوب الشرط في الآية دوره في السياق، يقول تعالى " لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم" <sup>(١)</sup> إنَّ (لو) بدخولها على الفعل الماضي (أنفقت) وجوابها الماضي أيضاً (ما ألفت) أفاد استحالة وجود الجواب لاستحالة القيام بالفعل ولذلك كانت (لو) حرف امتناع لامتناع لإفادة المبالغة في نفي إمكان التأليف بين القلوب وجعله مقصوراً على العزيز الحكيم. وجملة " لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم" من المبالغة هي من الغلو المقبول لوجود ما يقربه من الصحة والوقوع وهو الحرف (لو) إنه تسجيل للعجز عن التأليف بين القلوب لعدم إمكان إنفاق ما في الأرض جميعاً، وذلك ليستشعر مئة الله وفضله في التأليف الذي وجده بعد عجزه " ولكن الله أوفى بينهم " فلا يملك إلا أن يسجد لله (إنه عزيز) كامل القدرة والغلبة لا يستعصى عليه شيء مما يريد وهو (حكيم) يعلم كيف ومتى يضع ما يريد، وفق الحكمة التامة الكاملة. سبحانه.

وفي الآية الرابعة من هذا البحث يقول تعالى: " ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض، تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم "

١ - ذكر الزركشي من أوجه (لو) أن تكون شرطية، وعلامتها أن يصلح موضعها (إن) المكسورة، وقد صح إقامتها مقامها ؛ لأن في كل واحدة منهما معنى الشرط، وهي مثلها فيلبيها المستقبل. البرهان في علوم القرآن ٤ / ٣٧٢، ٣٧٣

### المعنى والمناسبة:

ذكر القرطبي قول المفسرين أنها نزلت يوم بدر عتاباً من الله . عز وجل . لأصحاب نبيه (صلى الله عليه وسلم) والمعنى: ما كان ينبغي لكم أن تفعلوا هذا الفعل الذي أوجب أن يكون للنبي (صلى الله عليه وسلم) أسرى قبل الإثخان<sup>(١)</sup> (تريدون عرض الدنيا) ولكن النبي لم يأمر باستبقاء الرجال وقت الحرب، ولا أراد قط عرض الدنيا، وإنما فعله جمهور مباشري الحرب، فالتوبيخ والعتاب متوجهاً بسبب من أشار عليه (صلى الله عليه وسلم) بأخذ الفدية.<sup>(٢)</sup>

فالآية الكريمة بصدد ذكر أحد أحكام الجهاد، يقول الطاهر بن عاشور: "أخبر الله تعالى أن قتل المشركين يوم بدر كان أولى من أسرهم، وفدائهم. ثم لما كثر المسلمون رخص الله في ذلك"<sup>(٣)</sup>

وبتأمل سياق الآية في هذا المقام نلاحظ ما يأتي:

تتكبير لفظ نبي في الآية إشارة إلى العموم والشمول، لبيان أن ما يذكر في الآية إنما هو سنة مطردة فيما بين الأنبياء جميعهم، والمراد: ما صح وما استقام لنبي من الأنبياء (عليهم السلام).....<sup>(٤)</sup> وهذا يلائم الشريعة الإلهية الموحدة، وفيها دليل على أنه تعالى واحد أحد لا شريك له فالأحكام التشريعية واحدة تسري في جميع الأزمنة، ومع مختلف الشرائع السماوية.

١ . الإثخان: كثرة القتل والمبالغة فيه، والمعنى: ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يبالغ في قتل الكافرين ويستكثر من ذلك، وقيل: معنى الإثخان التمكن، وقيل: هو القوة. التحرير

والتتوير /١

٢ . الجامع لأحكام القرآن ٨ / ٣٠

٣ . التحرير والتتوير ١١ / ٥٠

٤ . تفسير أبي السعود ٢ / ٢٤٨

والأسرى جمع أسير، ويقال في جمعه أيضاً أسارى<sup>(١)</sup> ومادتها تدل على الحبس والإمساك، وسُمي الأسير بذلك لأنهم كانوا يشدونهم بالقيود وهو الإِسار، وسُمي كل أخيدٍ وإن لم يؤسر أسيراً. قال الأعشى :

وقيدني الشعر في بيته      كما قيد الأسراتُ الحمارة<sup>(٢)</sup>

وقال ابو عمرو ابن العلاء: "الأسرى هم غير الموثقين عندما يؤخذون، والأسارى: هم الموثقون رِقاً"<sup>(٣)</sup>، وعلى هذا القول يكون التعبير القرآني هو المناسب للمقام لدلالة اللفظ على المعنى.

وفصلت الجملة الفعلية (تريدون عرض الدنيا) عن الجملة السابقة عليها لشبه كمال الانقطاع، فإن جملة (تريدون..) يصح وصلها بجملة " ما كان لنبي... " ولكن تُرك العطف هنا حتى لا يوهم الكلام خلاف المراد ؛ أي حتى لا يُفهم دخوله في شرط اتخاذ الأسرى ن فيقال: حتى يُتخذن في الأرض، وحتى تريدون عرض الدنيا فيكون طلباً ربانياً مفهوماً بطريق الخطأ فهذا بمثابة قوله تعالى: " وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون

١ . مقاييس اللغة ١/١٠٧

٢ . السابق

٣ - أبو عمرو بن العلاء ابن عمار بن عريان التميمي، ثم المازني البصري شيخ القراء، والعربية وأمه من بني حنيفة، اختلف في اسمه على أقوال: أشهرها زيان، وقيل العريان . ولد في نحو سنة سبعين . حدث باليسير عن أنس بن مالك، ويحي بن يعمر، ومجاهد، وأبي صالح السمان، وأبي رجاء العطاردي، ونافع العمري، وعطاء بن رباح، وابن شهاب. وقرأ القرآن على سعيد بن جبير . ومجاهد، ويحي بن يعمر، وعكرمة، وابن كثير، وطائفة. وورد أنه تلا على أبي العالية الرياحي. وقد كان معه بالبصرة . برز في الحروف وفي النحو، واشتهر بالفصاحة والصدق وسعة العلم (تراجم الأعلام . المكتبة الإسلامية . عرض الكتب . إسلام ويب)

ولكن لا يشعرون\* وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون".<sup>(١)</sup>

وقد سمى السكاكي والمتأخرون هذا النوع بالقطع والاستئناف، ونبهوا إلى أن هذه الصور يمكن أن تكون من شبه كمال الاتصال، وبذلك يبقى شبه كمال الانقطاع بابا فارغاً من أي شاهد كما يقول الدكتور محمد أبو موسى.<sup>(٢)</sup>

وأرى أن هذا النوع أقرب إلى (الفصل لعدم الاشتراك بالقيّد) وهو ما يعرف عند البلاغيين بـ (التوسط بين الكمالين مع وجود المانع من العطف)، ولا أخفي أنه التبس عليّ في أول الأمر، ولكن بعد قليل من التأمل اتضح الاختلاف، ليس فقط بين هذا النوع (شبه كمال الانقطاع) وبين (الفصل لعدم التشريك في القيّد) بل بينه وبين (شبه كمال الاتصال).

فإذا صح إدراج قوله تعالى: "وإذا قيل لهم لا تفسدوا....." ضمن شبه كمال الاتصال، وصح إدراج قوله تعالى: "وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا....." تحت الفصل لعدم التشريك في القيّد، فإن هذا لا ينطبق على الآية موضوع الدراسة؛ فلا هي تثير سؤالاً، ولا هي من جملة القول. وليس التشريك في الحكم مطلباً؛ فالعلاقة بين أول الآية "ما كان لنبي أن يكون له أسرى" وبين قوله تعالى بعد ذلك "تريدون عرض الدنيا" ليست علاقة لفظية حرفية ولكنه علاقة بين ما يترتب عليه اتخاذ الأسرى (الفداء) وهو مطلب دنيوي، وبين الجملة الإنكارية التعليلية (تريدون عرض الدنيا)، وإذا صح ظني فإن هذا من شبه كمال الانقطاع كما عرفه البلاغيون. والله أعلم.

١. سورة البقرة الآيات من ١١. ١٣

٢. دلالات التراكيب ص ٣٢٠، ٣٢١د/ محمد أبو موسى

أما قوله تعالى بعد ذلك " والله يريد الآخرة " فالعلاقة بين الجملتين تقتضي الوصل بينهما بالواو، وهو ما يُسمى (التوسط بين الكمالين مع وجود المناسبة)، حيث نُزل التضاد بين الإرادتين منزلة التناسب فعطفت الثانية على الأولى.  
والكلام على حذف مضاف أي (ثواب الآخرة) وهو من الإيجاز البليغ الذي يجعل النفس تذهب في المحذوف كل مذهب لتتبين ما يريد الله لهم في الآخرة .  
والله أعلم

وأخيراً: ما علاقة فاصلة الآية (والله عزيز حكيم) بمضمونها أو موضوعها ؟  
إن الدلالات السياقية للآية تقتضي هذا الختم لا محالة، فقد بدأت بالوصل الذي يرجع إلى التوسط بين الكمالين مع وجود المناسبة وهي إثبات أن إرادة الله لهم تقتضي أن يكون تعالى عزيز: يغلب أوليائه على أعدائه، وأنه تعالى حكيم يعلم ما يليق بكل حال ويخصه بها، فقد أمر . سبحانه . بالإتيان ونهى عن أخذ الفداء حين كانت الشوكة للمشركين، وخير بينه وبين المن في قوله تعالى " فإمّا منّا بعد وإمّا فداء " لما تحولت الحال وصارت الغلبة للمؤمنين<sup>(١)</sup>

## - الدلالات السياقية لاقتراح الاسمين الجليلين (السميع العليم) في سورة الأنفال:

اقترن الاسمان في أربعة مواضع وهي:  
قوله تعالى: " فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وليبلي المؤمنين من بلاء حسناً إن الله سميع عليم " آية ١٧

١ . تفسير أبي السعود ٢ / ٢٤٨

قوله تعالى: " إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم ولو تواعدتم لاختلقتم في الميعاد ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولاً ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وإن الله لسميع عليم " آية ٤٢  
قوله تعالى: " ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمته أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم " آية ٥٣  
قوله تعالى: " وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم " آية ٦١

المعنى العام للأسماء الحسنى: (السميع . العليم)

**السميع:** قال أبو سليمان الخطابي (ت ٣٨٨هـ): " السميع بمعنى السامع، إلا أنه أبلغ في الصفة، وفعل بناء للمبالغة، كقولهم: عليم من عالم، وقدير من قادر. وهو الذي يسمع السر والنجوى، سواء عنده الجهر والخفت، والنطق والسكت. قال: وقد يكون السماع بمعنى القبول والإجابة كقول النبي (صلى الله عليه وسلم): " اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع، ومن دعاء لا يُسمع.."<sup>(١)</sup>  
أي من دعاء لا يُستجاب. ومن هذا قول المصلي: " سمع الله لمن حمده "<sup>(٢)</sup>.

**العليم:** " هو العالم بالسرائر والخفيات التي لا يدركها علم الخلق كقوله تعالى: " إن الله عليم بذات الصدور " وجاء على بناء فعيل للمبالغة في وصفه بكمال العلم ولذا قال سبحانه: " وفوق كل ذي علم عليم "<sup>(٤)</sup> والآدميون إذا كانوا يوصفون بالعلم، فإن ذلك ينصرف منهم إلى نوع من المعلومات دون نوع، وقد يوجد ذلك

١ . أخرجه الترمذي . كتاب الدعوات . حديث رقم ٣٤٨٢

٢ . شأن الدعاء ص ٥٩ . تحقيق حمد يوسف الدقاق .

٣ . سورة لقمان آية ٢٣

٤ . سورة يوسف الآية ٧٦



منهم في حال دون حال، وقد تعترض علمهم الآفات فيخلف علمهم الجهل ويعقب ذكرهم النسيان " (١)

ومع اختلاف المقام في كل آية تختلف الدلالات السياقية للفاصلة المختومة باسمي الله (السميع العليم)

ففي الآية الأولى: " فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وليبلي المؤمنين من بلاء حسناً إن الله سميع عليم " آية ١٧

يبين الله تعالى أنه خالق أفعال العباد، وأنه المحمود على جميع ما صدر عنهم من خير ؛ لأنه هو الذي وفقهم لذلك وأعانهم، ولهذا قال تعالى " فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم " (٢) والآية تبين بقية الأحكام الواقعة في بدر وأحوالها وتقرير ما سبق.

وفي مناسبتها يذكر صاحب البحر المحيط: أنه لما رجع الصحابة من بدر ذكروا مفاخرهم فيقول القائل " قتلت وأسرت " فنزلت (٣)

ومن دلالات سياق الآية على فاصلتها ذكر الفاء في أول الآية، (فلم تقتلوهم) حيث وقعت في جواب شرط محذوف تقديره: إن افتخرتم بقتلهم فأنتم لم تقتلوهم ولكن... وهذا رأي الزمخشري، وأبو السعود (٤) ويناسب حال الصحابة بعد رجوعهم من بدر وذكرهم مفاخرهم، بينما يراها أبو حيان للربط بين الجمل ؛ لأنه لما قال " فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان " كان امتثال ما أمروا به سبباً للقتل فقيل " فلم تقتلوهم " أي لستم مستبدين بالقتل ؛ لأن الأقدار عليه

١ . شأن الدعاء للخطابي ص ٥٧ تحقيق أحمد يوسف الدقاق

٢ . تفسير ابن كثير ٣ / ٢٨٥

٣ . البحر المحيط لأبي حيان ٥ / ٢٩٤

٤ . الكشاف ٢ / ١١٩ . وتفسير أبي السعود ٢ / ٢٣٣

والخالق له إنما هو الله ليس للقاتل فيها شيء ولكنه جرى على يده فنفي عنهم إيجاد القتل وأثبت الله وفي ذلك رد على من زعم أن أفعال العباد خلق لهم. والرأي أنه لا تعارض فيما يرجع إليه الرأيين فالتأويل لا يختلف عن المراد من الفاء وما دخلت عليه مقدرًا كان أو مدلولاً عليه بالسياق في قوله " فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان " فهو ليس شرطاً وإنما يدل على الشرط. والإيجاز بحذف المفعول في " وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى " للعلم به وللتركيز على المراد من الآية (الرمي) من بيان حال الرمي بإثباته للرسول (صلى الله عليه وسلم) وبيان أثره الثابت للخالق عز وجل ونفي ذلك الأثر عن الرسول والمراد: وما فعلت أنت يا محمد تلك الرمية المستتبعة لهذه الآثار العظيمة حقيقة حين فعلتها صورة وإلا لكان أثرها من جنس آثار الأفاعيل البشرية ولكن الله فعلها (خلقها) حين باشرتتها لكن لا على نهج عادته في خلق أفعال العباد بل على وجه غير معتاد ولذلك كان لها هذا التأثير<sup>(١)</sup> أما قوله تعالى " وليبلي المؤمنين منه... " فالجملة تعليلية لبيان السر في موازنة الله تعالى لنبيه والمؤمنين في هذا اليوم.

وقد وصلت الجملة بمحذوف وقع منها موقع التوسط بين الكمالين مع تنزيل التضاد بينهما منزلة التناسب والمراد: ولكن الله رمى ليمحق الكافرين، وليبلي المؤمنين من...، وكأن سياق الآية يحتاج إلى تأكيد وتعليل لما يحدث من محق الكافرين، ونصرة المؤمنين فيأتي ختم الآية مناسب لسياقها ومؤكداً على أنه

١ - يُذكر في هذه القصة: أن قريشا حين طلعت من العقتل قال الرسول (صلى الله عليه وسلم) هذه قريش جاءت بخيلها وفخرها يكذبون رسولك، اللهم 'ني أسألك ما وعدتني فأتاه جبريل عليه السلام، فقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلم يبق مشرك إلا شُغل بعينيه فانهزموا وذلك قوله تعالى بطريق تلوين الخطاب (وما رميت إذ رميت) تفسير أبي السعود

تعالى ما فعل ذلك إلا لأنه تعالى (سميع) لدعائهم واستغاثتهم (عليم) بنياتهم وأحوالهم الداعية للإجابة. ففاصلة الآية (إن الله سميع عليم) بمثابة الاستئناف البياني، كأن سائلاً سأل: وهل علم الله نوايانا وأحوالنا؟ فجاءت الإجابة مؤكدة بـ (إن) لملاءمة الحال. ولا يُقال إن السياق يحتاج أن تُختم الآية بـ (حكيم عليم) لأن الحكمة هي وضع الأمور في موضعها، وقد حدث ذلك بالفعل من تحقيق النصر ووقوع الرمي من الله، ولكن المقام يقتضي إثبات سماعه تعالى دعاءهم وعلمه بسوء نوايا الكافرين وحسن نوايا المؤمنين فيجازي كل بما يستحق وفق علم وحكمة. والله أعلم.

وفي قوله تعالى: "إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم ولو تواعدتم لآخلفتم في الميعاد ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولاً ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وإن الله لسميع عليم" آية ٤٢

حديث عن يوم بدر (يوم الفرقان، يوم التقى الجمعان) ولتقدم ذكره استخدم البديل الثاني (إذ)<sup>(١)</sup>

بطريق الفصل حيث ترك العطف لعدم إمكان عطف البديل على المبدل منه وهما شيء واحد، والعطف يقتضي المغايرة، وهو ما يُسمى كمال الاتصال الذي يندرج تحته التوكيد والبديل وعطف البيان ويرى ابن عاشور أن (إذ) ظرف لأنزلنا، أي زمن أنتم وقد أريد من هذا الظرف وما أُضيف إليه تذكيرهم بحالة حرجة كان المسلمون فيها وتنبيههم إلى لطف عظيم حفهم من الله<sup>(٢)</sup> وترسم ألفاظ الآية مشهداً رائعاً يظهر فيها جيش المسلمين في مكانهم القريب من المدينة، وجيش المشركين القريب من مكة، وركب أبي سفيان بمحاذاة الساحل، والجميع يتربص

١. تفسير أبي السعود ٢٤٠/٢

٢. التحرير والتنوير ١٥/١١

وينتظر ما بين قلق من قلة عدد وعتاد وبين تجبر وافتخار وتفاخر بعدد وعدة في الجانب الآخر يعبر النص القرآني . بما يتميز به من الوفاء بالمعنى مع القصد في اللفظ . عن حال كل فريق، ليمهد بما ختمت به الآية.

العودة: شاطئ الوادي وجانبه، وتسمى شفيراً وشفة، سميت بذلك مجازاً مرسلًا علاقته المجاورة وأمام تلك الصورة القرآنية التي أظهرت مكان الفريقين يأتي قوله تعالى: " و لو تواعدتم لاختلقتم في الميعاد" فعبر بـ (لو) و هي حرف امتناع لامتناع، ثم الحرف (لكن) ليبين أن اللقاء هو إرادة ربانية إلهية، ليست للفريقين دخل في الترتيب لها، و لو تركت لهم الخيرة لما فعلوها على هذه الحال.

كل ما حدث لم يكن ليحدث لولا إرادة الله التي عبر عنها بالجملة التعليلية " ليقضي الله أمراً كان مفعولاً " و الكلام على الإيجاز بالحذف لدلالة السياق عليه أي ليقضي الله أمراً كان واجباً أن يفعل و هو نصر أوليائه و قهر أعدائه بعد هذا اللقاء<sup>(١)</sup> و قال أبو السعود: " كان حقيقاً بأن يفعل من نصر أوليائه و قهر أعدائه أو مقدرًا في الأزل<sup>(٢)</sup> قال البغوي: لينجز وعده " وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً"<sup>(٣)</sup>

إن سياق الآية من أولها يدل أن الله تعالى عليم بأحوالهم جميعاً، سميع بمناجاة المسلمين واستغاثتهم وتوسلهم إلى الله راجين منه النصر، كما يدل على أنه . سبحانه . قدر لهم هذا اللقاء لعلمه بأحوالهم أيضاً، والجملة التالية " ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة " بدل من الجملة السابقة أو بيان لما أجمله قوله تعالى " ليقضي الله أمراً كان مفعولاً" ففصلت عنها لكمال الاتصال.

١ . البحر المحيط ٣٢٨/٥

٢ تفسير أبي السعود ٢٤٠/٢

٣ . سورة الإسراء الآية ١٥ يراجع تفسير البغوي ٣٦٣/٣

ويتخلل هذا السياق الموجز المحكم تصوير بياني بديع لحال المسلم والكافر، فصور الكفر بالهلاك بجامع سوء العاقبة مع عدم بقاء الأثر، كما صور الإسلام بالحياة بجامع بعث الروح ووضوح الأثر وظهور الفائدة<sup>(١)</sup> ونلمح الوعد والوعيد بين طيات النص مما يمهد لفاصلتها ويناسب المقام.

وبالتأمل في التعبير بالمضارع (يهلك . يحيى) نستشعر أن كل منهما فعل جلبه صاحبه لنفسه وبمحض إرادة منه، فالهلاك حقيقي بفعل فاعل هو إرادة الكافر نفسه باعتناقه لعقيدة باطلة لا يزال متمسكاً بها حتى تؤدي به إلى الهلاك المحقق. وكذلك في الفعل (يحيى) والله أعلم

وفاصلة الآية (وإن الله لسميع عليم) جملة خبرية مؤكدة تذيلاً يشير إلى أن الله سميع دعاء المسلمين بالنصر وسميع ما جرى بينهم من الحوار في شأن الخروج إلى بدر ومن مودتهم أن تكون غير ذات الشوكة هي إحدى الطائفتين التي

١ أشار إلى ذلك أبو السعود في تفسيره ٢٤٠/٢ وهي بمثابة قوله تعالى " أو من كان ميتاً فأحييناه " وكنت أفضل جعل الصورة من المجاز المرسل لعلاقة المسببية، حيث عبر بالمسبب (يهلك، يحيى) وأراد السبب فيهما وهو (الكفر، والإيمان) فهذا يختلف عن (أو من كان ميتاً فأحييناه) لأنه تصوير للضلال بالموت، والهداية بالإحياء، وهو ليس موتاً حقيقة ولا حياة حقيقية بخلاف الآية موضوع البحث فالهلاك حقيقي سواء كان في الدنيا أو في الآخرة، وكذلك الحياة بالإيمان وهذا ما يوحي به قوله (عن بينة) والله أعلم، هذا.. ويرى أبو حيان أن التعبير على حقيقته، والمراد: ليقتل من قتل من كفار قريش وغيرهم عن بيان من الله وأعدار بالرسالة ويعيش من عاش عن بيان منه وأعدار لاحجة لأحد عليه، وذكر ابن اسحاق وغيره: أن الله تعالى جعل قصة بدر عبرة وآية ليؤمن من آمن عن وضوح وبيان ويكفر من كفر عن مثل ذلك. فحملها على المجاز . البحر المحيط ٥ / ٣٢٩

يلاقونها، وغير ذلك، وعليم بما يجول في خواطرهم من غير الأمور المسموعة  
وبما يصلح لهم ويبني عليه مجد مستقبلهم<sup>(١)</sup>

والآية التالية، قوله تعالى: " ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم  
حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم " آية ٥٣

يخبر تعالى عن تمام عدله، وقسطه في حكمه، بأنه تعالى لا يغير نعمة أنعمها  
على أحد إلا بسبب ذنب ارتكبه، كما قال تعالى: " إن الله لا يغير ما بقوم حتى  
يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال " <sup>(٢)</sup>

بدأ سياق النص بالإشارة إلى الأخذ المذكور في الآية السابقة عليها قوله تعالى: " فأخذهم الله بذنوبهم إن الله قوي شديد العقاب " <sup>(٣)</sup> وقد فصلت عنها للاستئناف  
البياني، وذكرها في معرض الحديث عن غزوة بدر وحال المسلمين والمنافقين  
في ذلك الوقت لبيان أن ذلك جرى على سنة الله في خلقه فإنه تعالى لا يسلب  
نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ذلك بأنفسهم وكما حدث ذلك في قوم فرعون  
فإنه واقع بكل من تسول له نفسه الاستهزاء بقدره الله والسخرية من الدين الذي  
بعث به رسله. وهذا إنذار لقريش أن يحل بهم مثل ما حل بغيرهم من الأمم  
الذين بطروا النعمة فالتعبير بالصيغة الاسمية (مغيراً) يخدم السياق في بيان أنها  
سنة الله تجري في جميع الأزمنة. <sup>(٤)</sup> " وأن الله سميع عليم " معطوف على " بأن  
الله لم يك مغيراً " أي ذلك بأن الله يعلم ما يضمرة الناس وما يعملونه ويعلم ما

١. التحرير والتنوير ٢١/١١ والتذييل: أحد طرق الإطناب تختتم به جملة الكلام لإفادة التوكيد

ولا يكون إلا بجملة ومنه ما يجري مجرى المثل وما لا يجري مجرى المثل.

٢. سورة الرعد آية ١١. تفسير ابن كثير ٣/ ٢٨٨

٣. الأنفال ٥٢

٤. التحرير والتنوير ١١/ ٤٥

ينطقون به فهو يعاملهم بما يعلم منهم، وتقديم صفة (سميع) قبل صفة (عليم) يومئ إلى أن التغيير الذي أحدثه المعرّض بهم متعلق بأقوالهم وهو دعوتهم آلهة غير الله فهو سميع لدعواهم عليم بنياتهم.<sup>(١)</sup> وهكذا تألفت فاصلة الآية مع سياق النص فيها مع ارتباطها الوثيق بما قبلها وما بعدها.

وهذا ما نجده في جميع فواصل أي الذكر الحكيم إذا عرفت مناسباتها ودلالات السياق المؤدية إلى الفاصلة المذكورة.

وفي الآية التالية قوله تعالى: " **وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم** ". آية ٦١، نجد تعلق السياق بالآيات السابقة واللاحقة . وهذا من خصائص النظم القرآني كما نعلم . فبعد أن أمرهم الله تعالى بإعداد العدة وإرهابهم فقال تعالى في الآية السابقة عليها " وأعدوا لهم ما استطعتم من من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم..... " (٢) ذكر لهم الميل إلى المسالمة إذا بدت منهم أولاً، وقد استخدم النص القرآني الحرف (إن) الموضوع للشرط في المستقبل أي (تعلق حصول الجزاء على حصول الشرط في الاستقبال فإذا دخلت على الماضي كما في الآية (جنحوا) فهو ماض لفظاً مستقبلي معنى،<sup>(٣)</sup> والأصل فيها أن تدخل على الشرط غير المجزوم بوقوعه، ولذلك ينبغي أن تدخل على المضارع فيقال مثلاً (إن تكرمني أكرمك) ولا يجيء الماضي مع (إن) لفظاً إلا لغرض بلاغي وهو إبراز غير الحاصل الذي يحدث في المستقبل في معرض الحاصل الذي وقع في الماضي وتحقق وقوعه ويكون ذلك لأغراض عديدة<sup>(٤)</sup> والجنوح: الميل والسلم (الصلح) أي إذا وقعت الرهبة في

١ . السابق ٤٦/١١

٢ . سورة الأنفال الآية ٦٠

٣ . وتشارك (إذا) مع إن في كل ذلك إلا أنها تدخل على الشرط المجزوم بوقوعه

٤ . يراجع بغية الإيضاح ١ / ٩٧ للشيخ عبد المتعال الصعيدي

قلوبهم بمشاهدة ما بكم من قوة واستعداد فمالوا للصلح فاجنح لها أي للسلام<sup>(١)</sup> والأمر في... (فاجنح) أمر ملزم من الله تعالى إلى نبيه (صلى الله عليه وسلم) وهو في ذات الوقت أمر صادر من عليم خبير.

يقول ابن العربي: "إذا كان المسلمون على عزة، وفي قوة ومنعة، ومقانب عديدة، وعدة شديدة: فلا صلح حتى تطعن الخيل بالقنأ، وتضرب بالبيض الرقاق الجماجم، وإن كان للمسلمين مصلحة في الصلح لانتفاع يجلب به، أو ضرر يندفع بسببه فلا بأس أن يبتدئ المسلمون به إذا احتاجوا إليه، وأن يجيبوا إذا دعوا إليه وقد صالح النبي صلى الله عليه وسلم أهل خيبر على شروط نقضوها، فنقض صلحهم، وقد وادع الضمري، وقد صالح أكيدر دومة، وأهل نجران، وقد هادن قريشا عشرة أعوام حتى نقضوا عهده، وما زالت الخلفاء والصحابه على هذه السبيل سالكة، وبالوجه التي شرحناها عاملة<sup>(٢)</sup>.

والأمر بالتوكل على الله بعد الأمر بالجنوح إلى السلم ليكون النبي (صلى الله عليه وسلم) معتمداً في جميع شأنه على الله، ومفوضاً إليه تسيير أموره، لتكون مدة السلم مدة تقو واستعداد، وليكفيه الله شر عدوه إذا نقضوا العهد، ولذا عقب الأمر بالتوكل بتذكيره بأن الله سميع عليم أي السميع لكلامهم في العهد، العليم بضمايرهم فهو تعالى يعاملهم على ما يعلم منهم، وقوله فاجنح مشاكلة لـ (اجنحوا) وطريق القصر في قوله: هو السميع العليم أفاد قصر معنى الكمال في السمع والعلم، أي: فهو سميع منهم ما لا تسمع ويعلم ما لا تعلم. وقصر

١. يراجع تفسير أبي السعود ٣/ ٢٤٦

٢. أحكام القرآن ٢/ ٤٢٧ لمحمد بن عبد الله الأندلسي (ابن العربي) ط ١: د.ت دار الكتب العلمية



هذين الوصفين بهذا المعنى على الله - تعالى - عقب الأمر بالتوكل عليه  
يفضي إلى الأمر بقصر التوكل عليه لا على غيره. وفي الجمع بين الأمر  
بقصر التوكل عليه وبين الأمر بإعداد ما استطاع من القوة للعدو: دليل بين  
على أن التوكل أمر لا ينفي تعاطي الأسباب.<sup>(١)</sup>

### ومن الأسماء المقترنة في سورة الأنفال: الغفور الرحيم

وقد ورد هذين الاسمين الجليلين في موضعين من السورة وهما:  
قوله تعالى: " فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً، واتقوا الله إن الله غفور  
رحيم " ٦٩

قوله تعالى: " يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم  
الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور  
رحيم " ٧٠

المعنى العام للاسمين : (الغفور . الرحيم)

هما من أكثر الأسماء اقتراناً في كتاب الله تعالى، حيث اقترنا بذات الترتيب في  
سبعة وخمسين موضعاً من القرآن<sup>(٢)</sup>  
وأصل الغفور: الغفر وهو التغطية والستر، وغفر الله ذنبه أي سترها، وتقول  
العرب: اصبغ ثوبك بالسواد فهو أغفر لوسخه<sup>(١)</sup> والغفور هو الذي يستر ذنوب  
عباده . سبحانه .

١ . التحرير والتنوير ٥٩/١١

٢ . واقترن " الرحيم الغفور " في موضع واحد من القرآن الكريم في قوله تعالى من سورة سبأ  
يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم  
الغفور " آية ٢ ولهذا الاختلاف دلالاته السياقيه أيضاً.

**رحيم:** على وزن فعيل بمعنى فاعل، أي راحم، وهي صيغة مبالغة، والمعنى: أنه تعالى المنيب على العمل فلا يضيع عمل عامل من ذكر أو أنثى وهو مؤمن، ويضاعف لهم الأجر والثواب برحمته جل وعلا.

وإذا تأملنا سياق الآيات المختمة فاصلتها بـ " الغفور الرحيم " نلاحظ . مع اختلاف المواقف والمناسبات في كل آية . أنها تسبق جميعها بتوبة من العبد يعقبا بيان غفران الله رحمة بهم.

ففي الآيتين المتتاليتين في سورة الأنفال نجد في الأولى أمر على سبيل الإباحة يبيح للمسلمين أخذ الغنائم حلالاً طيباً، ولكن يعقبه بعطف يُراد منه التزام التقوى والاستمرار عليها. فالجملتان " كلوا... واتقوا " إنشائيتان لفظاً ومعنى والأولى للإباحة والثانية طلب الدوام والاستمرار.

ولغرض التشريك في الحكم عطف الثانية على الأولى، ثم قال " إن الله غفور رحيم " بياناً لعاقبة ما قد يقع منهم عفواً أو جهلاً مع التقوى فإن الله يستره ويغفره رحمة ولطفاً بعباده المخلصين ولذلك فُصلت جملة " إن الله.. " لاختلافها عما قبلها خبراً وإنشاءً فبينهما كمال انقطاع بدون إيهام خلاف المراد. والله أعلم.

أما قوله تعالى: " يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم " ٧٠  
المناسبة:

١. لسان العرب ٥ / ٢٥ / ٢٩ / تفسير أسماء الله الحسنی للزجاج ص ٣٧ تحقيق أحمد يوسف الدقاق ط ٢ دار المأمون . دمشق ١٣٩٩ هـ.

قيل: لما أسر من أساري المشركين روي أنه تكلم قوم منهم بالإسلام، ولم يمضوا بذلك عزيمة، ولا اعترفوا به اعترافاً جازماً. ويشبه أنهم أرادوا أن يقربوا من المسلمين، ولا يبعدوا من المشركين فنزلت الآية.<sup>(١)</sup>

ويقول ابن عاشور: " كان العباس في جملة الأسرى وكان ظهر منه ميل إلى الإسلام. قبل خروجه إلى بدر، وكذلك كان عقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب، ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وقد فدى العباس نفسه وفدى ابني أخويه: عقيلاً ونوفلاً. وقال للنبي - صلى الله عليه وسلم - تركتني أتكف قريشاً. فنزلت هذه الآية في ذلك، وهي ترغيب لهم في الإسلام في المستقبل، ولذلك قيل لهم هذا القول قبل أن يفارقوهم<sup>(٢)</sup> .

استخدم النص القرآني في خطاب الرسول " يا أيها " وهي من أكثر أدوات النداء استخداماً في القرآن الكريم، (يا) حرف نداء، وُضع في أصله لنداء البعيد و(أي) وصلة إلى نداء ما فيه الألف واللام... وهو اسم مبهم مفتقر إلى ما يوضحه ويزيل إبهامه، فلا بد أن يردفه اسم جنس أو ما يجري مجراه يتصف به حتى يصح المقصود بالنداء، وفي هذا التدرج من الإبهام إلى التوضيح ضرب من التأكيد، والتشديد، وكلمة التنبيه المقحمة بين الصفة و موصوفها لفائدتين: معاضدة حرف النداء، ومكاتفته بتأكيد معناه، ووقوعها عوضاً ممن يستحقه (من الإضافة) وكثرة النداء في القرآن مما على هذه الطريقة لاستقلال القرآن بأوجه من التأكيد وأسباب المبالغة؛ لأن كل ما نادى الله له عباده من أوامره ونواهيه، وعظاته، وزواجه ووعده ووعيده واقتصاص أخبار الأمم الدراجة عليها وغير ذلك مما انطلق به كتابه أمور عظام وخطوب جسام ومعان عليهم أن يتيقظوا لها

١. أحكام القرآن لابن العربي ٤٣٨/٢، ويراجع الجامع لأحكام القرآن ٧/ ٤٢٨ للقرطبي

٢. التحرير والتنوير ١١/ ٨٠

ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم إليها وهم عنها غافلون فاقتضت الحال أن ينادوا بالآكد الأبلغ<sup>(١)</sup>

ويتأمل النداء في الآية على الصورة التي يراها الزمخشري نلاحظ أن النداء وافق غرض تأكيد الأمر الملزم للنبي (صلى الله عليه وسلم): "قل لمن في...." وتأكيدهم للوعد الإلهي بغفران الذنوب وشمولهم برحمته (جل وعلا)، وبذلك دل سياق الآية من أولها على فاصلتها مروراً بسائر جمل الآية القرآنية.

ونداء النبي في القرآن دون الاسم الصريح تشريعاً له ورفعاً لمحلته<sup>(٢)</sup> ومعنى "من في أيديكم" أي في ملككم ووثاقكم، فاستعار الأيدي للامتلاك والسيطرة<sup>(٣)</sup>. بجامع حرية التصرف في المملوك والتمكن منه، وقد ساعد الحرف (في) على تصوير عمق التمكن. وقد دل السياق القرآني في تعبيره بـ (إن) الداخلة على الفعل المضارع (يعلم) على التفاؤل بحدوث إسلامهم في المستقبل، فالشرط وإن لم يُجزم بوقوعه في المستقبل فإن الجواب مجزوم بحدوثه عند حدوث الشرط وهو وعد من الله تعالى لعباده الأوابين.

والخير أحد المعاني التي تتبع من القلب أولاً حتى تصدق وتصدق، والتعبير بالفعلين (يوثكم، ويغفر لكم) يدل على التفاؤل المناسب لفاصلة الآية كما يحمل البشرى لهؤلاء الأسرى، في الدنيا برد الغنائم لهم، ثم بغفران الذنوب في الآخرة وهو خير ما بعده خير.

١ - يراجع البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية ص ٣٧٩. د/

محمد محمد ابو موسى . مكتبة وهبة ط٢ ١٤٠٨ هـ . ١٩٨٨ م

٢ . يراجع تفسير الكشاف ٣ / والبلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ص ٣٨٠

٣ . يقول ابن عاشور: " فالأيدي مستعارة للملك . وجمعها باعتبار عدد المالكين ١١ / ٨٠

والتذليل بقوله: والله غفور رحيم للإيماء إلى عظم مغفرته التي يغفر لهم ؛ رحيم بعباده، والمبالغة في لفظ " غفور " المقتضي قوة المغفرة وكثرتها، مستعمل فيهما باعتبار كثرة المخاطبين وعظم المغفرة لكل واحد منهم<sup>(١)</sup> وتدخل هذه الفاصلة تحت (الإرصاد أو التسهيم والتوشيح) إلى جانب ما تضيفه على الكلام من تأكيد البشرى وتعظيم أثر الخير الذي تحمله القلوب وتظهر به إلى النور.

### وآخر الأسماء المقتربة في سورة الأنفال: العليم الحكيم

حيث اقترن الاسمين الجليلين في موضع واحد من السورة في قوله تعالى: " وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم والله عليم حكيم " ٧١

وجاءت الآية الكريمة عقب الآية السابقة التحليل مباشرة ولذا فالترابط واضح والسياق يفضي بعضه إلى بعض، والكلام عن قد تسول له نفسه من الأسرى بمجاراة المسلمين لضمان السلامة دون ترك الشرك وأهله فبين الله لرسوله الحقيقة ؛ فقال: " وإن يريدوا خيانتك " أي إن كان هذا القول منهم خيانة ومكرا، " فقد خانوا الله من قبل " بكفرهم ومكرهم بك وقتالهم لك، فأمكنك منهم، وإن كان هذا القول منهم خيرا ويعلمه الله فيقبل ذلك منهم ويعوضهم خيرا مما خرج عنهم ويغفر لهم ما تقدم من كفرهم وخبائثهم ومكرهم.

١ . يراجع التحرير والتنوير ١١ / ٨١

٢ - عرفه البلاغيون بأنه: أن يجعل قبل العجز من الفقرة أو البيت ما يدل على العجز إذا عرف الروي وهو قريب من مراعاة النظير ؛ لأنه لا يدل على العجز إلا ما كان بينه وبين العجز مناسبة، وكان شديد الصلة به بل كثيرا ما يكون الدال على العجز هو نفس لفظ العجز وهو من جيد الكلام يراجع علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع ص ١٦٤، ١٦٥ . د/ بسيوني عبد الفتاح فيود . دار المعالم الثقافية للنشر والتوزيع . الإحساء

والخيانة: نقض العهد وما في معنى العهد كالأمانة. والعهد، الذي أعطوه، هو العهد بأن لا يعودوا إلى قتال المسلمين، وهذه عادة معروفة في أسرى الحرب إذا أطلقوهم فمن الأسرى من يخون العهد ويرجع إلى قتال من أطلقوه فالحعهد، الذي أعطوه، هو العهد بأن لا يعودوا إلى قتال المسلمين، وهذه عادة معروفة في أسرى الحرب إذا أطلقوهم فمن الأسرى من يخون العهد ويرجع إلى قتال من أطلقوه وخيانتهم الله، التي ذكرت في الآية، يجوز أن يراد بها الشرك؛ فإنه خيانة للعهد الفطري الذي أخذه الله على بني آدم فيما حكاه بقوله: "وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم... الآية. فإن ذلك استقر في الفطرة، وما من نفس إلا وهي تشعر به، ولكنها تغالبها ضلالات العادات واتباع الكبراء من أهل الشرك.<sup>(١)</sup>

وجواب الشرط محذوف دل عليه قوله: فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم . وتقديره: فلا تضرك خيانتهم، أو لا تهتم بها، فإنهم إن فعلوا أعادهم الله إلى يدك كما أمكنك منهم من قبل<sup>(٢)</sup>.

يقول أبو السعود: "والكلام مسوق من جهته تعالى لتسليته عليه الصلاة والسلام بطريق الوعد له والوعيد لهم".<sup>(٣)</sup> ولذا كان المناسب للسياق ختم الآية بفاصلة تدل على مضمونها فقال تعالى " والله عليم حكيم " أي عليم بنياتهم وما يستحقونه من العقاب، حكيم يفعل وفق ما تقتضيه حكمته البالغة. وقال ابن عاشور: " والله عليم حكيم تذييل، أي عليم بما في قلوبهم حكيم في معاملتهم على

١ . التحرير والتنوير ١١ / ٨٣

٢ المرجع السابق

٣، تفسير أبو السعود ٣ / ٢٤٩

حسب ما يعلم منهم<sup>(١)</sup> وهذا التذييل يعتبر من تشابه الأطراف وهو نوع من مراعاة النظر<sup>(٢)</sup>

تعقيب: مما سبق، تبين ما يلي:

١. أن ائتلاف فواصل الآيات . المنتهية بأسماء الله المقترنة . مع مضمون آياتها بما تحمله من دلالات التراكيب وخصائص الألفاظ الصوتية والأسلوبية هو نوع من (مراعاة النظر) الذي يعتمد على الجمع بين الأمور المتناسبة بغير تضاد، كما عرفه البلاغيون. ويدخل تحت هذا النوع تشابه الأطراف، والإرصاد، وقد توافرت جميعها في الآيات السابقة. يقول السيوطي  
نقلًا عن ابن أبي الإصبع: " لا تخرج فواصل القرآن عن أحد أربعة أشياء:  
التمكين والتصدير والتوشيح والإيغال.<sup>(٣)</sup>

٢. أن الدلالة لا تقتصر على ما توحى به التراكيب من مجازات أو كنايات أو تعريض أو غيرها مما هو مشهور لدى البلاغيين وإنما تعتبر دلالات الألفاظ على المعاني أو الألفاظ على الألفاظ السابقة واللاحقة أو المعاني على الألفاظ هي من الدلالات التي يتطلبها السياق لتأدية المعنى المراد وإيصاله إلى الأذهان بطريقة صحيحة فهي إذن (النظم) الذي اهتدى إليه الإمام عبد القاهر، وها نحن في سياق إثبات أحد فنون البديع من مراعاة النظر أو تشابه الأطراف نتعرض لسياق يحمل الاستعارات والكنائيات كما يحمل التقديم والتأخير والحذف والخبر والإنشاء والإطناب والفصل والوصل وغيرها وقد نتعرض لطباق وجناس وهذه

١ . التحرير والتنوير ١١ / ٨٣

٢ . وهو: ان يختم الكلام بما يتناسب مع أوله

٣ - يراجع الإتقان في علوم القرآن ٢ / ١٠١ وما بعدها. وقد وجدت . في الآيات السابقة (التمكين وهو الائتلاف . التوشيح) وزدنا عليه التذييل غير الجار مجرى المثل، اما التصدير (رد العجز على الصدر والإيغال) فلم يتوفرا في الآيات السابقة.

هي البلاغة: هي كل ما تنطق به الجملة الأدبية من خصائص التراكيب ودلالات التراكيب. وهذا هو ما يحاول الغرب إثباته بطريق عصري مرجعه عربي أصلي.

٣- إن الكلام جسد وروح. فجسده النطق وروحه معناه، فواجب على الصانع أديباً كان أو شاعراً أن يصنع صنعة متقنة، لطيفة مقبولة، حسنة مجتابة لمحبة السامع له والناظر إليه، فيحسُّه جسماً ويحققه روحاً. أي يتقنه لفظاً، ويبدعه معنى، ويجتنب إخراجه على ضد هذه الصفة.. بل يسوي أعضائه وزناً، ويعدل أجزائه تأليفاً، ويحسن إصابته، ومن أحسن صنعا من الله؟<sup>(١)</sup>

قوله تعالى: " ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم " آية ٥٣  
قوله تعالى: " وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم ". آية ٦١

المعنى العام للأسماء الحسنى: (السميع . العليم)

السميع: قال أبو سليمان الخطابي (ت ٣٨٨هـ): " السميع بمعنى السامع، إلا أنه أبلغ في الصفة، وفعل بناء للمبالغة، كقولهم: عليم من عالم، وقدير من قادر. وهو الذي يسمع السر والنجوى، سواء عنده الجهر والخفت، والنطق والسكت. قال: وقد يكون السماع بمعنى القبول والإجابة كقول النبي (صلى الله



عليه وسلم): " اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع، ومن دعاء لا يُسمع.. " (١)  
أي من دعاء لا يُستجاب. ومن هذا قول المصلي: " سمع الله لمن حمده " (٢).  
**العليم:** " هو العالم بالسرائر والخفيات التي لا يدركها علم الخلق كقوله تعالى: " إن الله عليم بذات الصدور " وجاء على بناء فعيل للمبالغة في وصفه بكمال العلم ولذا قال سبحانه: " وفوق كل ذي علم عليم " (٤) والآدميون إذا كانوا يوصفون بالعلم، فإن ذلك ينصرف منهم إلى نوع من المعلومات دون نوع، وقد يوجد ذلك منهم في حال دون حال، وقد تعترض علمهم الآفات فيخلف علمهم الجهل ويعقب ذكرهم النسيان " (٥)  
ومع اختلاف المقام في كل آية تختلف الدلالات السياقية للفاصلة المختومة باسمي الله (السميع العليم)  
في الآية الأولى: " فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وليبلي المؤمنين من بلاء حسناً إن الله سميع عليم " آية ١٧  
يبين الله تعالى أنه خالق أفعال العباد، وأنه المحمود على جميع ما صدر عنهم من خير ؛ لأنه هو الذي وفقهم لذلك وأعانهم، ولهذا قال تعالى " فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم " (٦) والآية تبين بقية الأحكام الواقعة في بدر وأحوالها وتقرير ما سبق.

١ . أخرجه الترمذي . كتاب الدعوات . حديث رقم ٣٤٨٢

٢ . شأن الدعاء ص ٥٩ . تحقيق حمد يوسف الدقاق .

٣ . سورة لقمان آية ٢٣

٤ . سورة يوسف الآية ٧٦

٥ . شأن الدعاء للخطابي ص ٥٧ تحقيق أحمد يوسف الدقاق

٦ . تفسير ابن كثير ٣ / ٢٨٥

وفي مناسبتها يذكر صاحب البحر المحيط: أنه لما رجع الصحابة من بدر ذكروا  
مفاخرهم فيقول القائل " قتلت وأسرت " فنزلت (١)

ومن دلالات سياق الآية على فاصلتها ذكر الفاء في أول الآية، ( فلم تقتلوهم )  
حيث وقعت في جواب شرط محذوف تقديره: إن افتخرتم بقتلهم فأنتم لم تقتلوهم  
ولكن... وهذا رأي الزمخشري، وأبو السعود (٢) ويناسب حال الصحابة بعد  
رجوعهم من بدر وذكرهم مفاخرهم، بينما يراها أبو حيان للربط بين الجمل ؛ لأنه  
لما قال " فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان " كان امتثال ما أمروا به  
سبباً للقتل فقيل " فلم تقتلوهم " أي لستم مستبدين بالقتل ؛ لأن الأقدار عليه  
والخالق له إنما هو الله ليس للقاتل فيها شيء ولكنه جرى على يده فنفي عنهم  
إيجاد القتل وأثبت الله وفي ذلك رد على من زعم أن أفعال العباد خلق لهم.

والرأي أنه لا تعارض فيما يرجع إليه الرأيين فالتأويل لا يختلف عن المراد من  
الفاء وما دخلت عليه مقدرًا كان أو مدلولاً عليه بالسياق في قوله " فاضربوا فوق  
الأعناق واضربوا منهم كل بنان " فهو ليس شرطاً وإنما يدل على الشرط.

والإيجاز بحذف المفعول في " وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى " للعلم به  
وللتكريز على المراد من الآية (الرمي) من بيان حال الرمي بإثباته للرسول  
(صلى الله عليه وسلم) وبيان أثره الثابت للخالق عز وجل ونفي ذلك الأثر عن  
الرسول والمراد: وما فعلت أنت يا محمد تلك الرمية المستتبعة لهذه الآثار  
العظيمة حقيقة حين فعلتها صورة وإلا لكان أثرها من جنس آثار الأفاعيل  
البشرية ولكن الله فعلها (خلقها) حين باشرتها لكن لا على نهج عادته في خلق

١ . البحر المحيط لأبي حيان ٢٩٤/٥

٢ . الكشاف ١١٩ / ٢ . وتفسير أبي السعود ٢ / ٢٣٣

أفعال العباد بل على وجه غير معتاد ولذلك كان لها هذا التأثير (١) أما قوله تعالى " وليبلي المؤمنين منه... " فالجملة تعليلية لبيان السر في مؤازرة الله تعالى لنبيه والمؤمنين في هذا اليوم.

وقد وصلت الجملة بمحذوف وقع منها موقع التوسط بين الكمالين مع تنزيل التضاد بينهما منزلة التناسب والمراد: ولكن الله رمى ليمحق الكافرين، وليبلي المؤمنين من...، وكأن سياق الآية يحتاج إلى تأكيد وتعليل لما يحدث من محق الكافرين، ونصرة المؤمنين فيأتي ختم الآية مناسب لسياقها ومؤكداً على أنه تعالى ما فعل ذلك إلا لأنه تعالى (سميع) لدعائهم واستغاثتهم (عليم) ببنياتهم وأحوالهم الداعية للإجابة. ففاصلة الآية (إن الله سميع عليم) بمثابة الاستئناف البياني، كأن سائلاً سأل: وهل علم الله نوايانا وأحوالنا؟ فجاءت الإجابة مؤكدة بـ (إن) لملاءمة الحال. ولا يُقال إن السياق يحتاج أن تُختم الآية بـ (حكيم عليم) لأن الحكمة هي وضع الأمور في موضعها، وقد حدث ذلك بالفعل من تحقيق النصر ووقوع الرمي من الله، ولكن المقام يقتضي إثبات سماعه تعالى دعاءهم وعلمه بسوء نوايا الكافرين وحسن نوايا المؤمنين فيجازي كل بما يستحق وفق علم وحكمة. والله أعلم.

وفي قوله تعالى: " إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم ولو تواعدتم لآخلفتم في الميعاد ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولاً ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيٍّ عن بينة وإن الله لسميع عليم " آية ٤٢

١ - يُذكر في هذه القصة: أن قريشا حين طلعت من العقتل قال الرسول (صلى الله عليه وسلم) هذه قريش جاءت بخيلها وفخرها يكذبون رسولك، اللهم 'ني أسألك ما وعدتني فأتاه جبريل عليه السلام، فقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلم يبق مشرك إلا شُغل بعينيه فانهزموا وذلك قوله تعالى بطريق تلوين الخطاب (وما رميت إذ رميت) تفسير أبي السعود

حديث عن يوم بدر (يوم الفرقان، يوم التقى الجمعان) ولتقدم ذكره استخدم البديل الثاني (إذ) (١)

بطريق الفصل حيث ترك العطف لعدم إمكان عطف البديل على المبدل منه وهما شيء واحد، والعطف يقتضي المغايرة، وهو ما يُسمى كمال الاتصال الذي يندرج تحته التوكيد والبديل وعطف البيان ويرى ابن عاشور أن (إذ) ظرف لأنزلنا، أي زمن أنتم وقد أريد من هذا الظرف وما أضيف إليه تذكيرهم بحالة حرجة كان المسلمون فيها وتنبههم إلى لطف عظيم حُفهم من الله (٢) وترسم ألفاظ الآية مشهداً رائعاً يظهر فيها جيش المسلمين في مكانهم القريب من المدينة، وجيش المشركين القريب من مكة، وركب أبي سفيان بمحاذاة الساحل، والجميع يتربص وينتظر ما بين قلق من قلة عدد وعتاد وبين تجبر وافتخار وتفاخر بعدد وعدة في الجانب الآخر يعبر النص القرآني . بما يتميز به من الوفاء بالمعنى مع القصد في اللفظ . عن حال كل فريق، ليمهد بما ختمت به الآية.

العودة: شاطئ الوادي وجانبه، وتسمى شفيراً وشفة، سميت بذلك مجازاً مرسلاً علاقته المجاورة وأمام تلك الصورة القرآنية التي أظهرت مكان الفريقين يأتي قوله تعالى: " و لو تواعدتم لاختلقتم في الميعاد" فعبر بـ (لو) و هي حرف امتناع لامتناع، ثم الحرف (لكن) ليبين أن اللقاء هو إرادة ربانية إلهية، ليست للفريقين دخل في الترتيب لها، و لو تُركت لهم الخيرة لما فعلوها على هذه الحال.

كل ما حدث لم يكن ليحدث لولا إرادة الله التي عبر عنها بالجملة التعليلية " ليقضي الله أمراً كان مفعولاً " و الكلام على الإيجاز بالحذف لدلالة السياق عليه أي ليقضي الله أمراً كان واجبا أن يفعل و هو نصر أوليائه و قهر أعدائه بعد

١ . تفسير أبي السعود ٢/٢٤٠

٢ . التحرير والتنوير ١١/١٥

هذا اللقاء (١) و قال أبو السعود: " كان حقيقاً بأن يفعل من نصر أوليائه و قهر أعدائه أو مقدرًا في الأزل (٢) قال البغوي: لينجز وعده " وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً" (٣)

إن سياق الآية من أولها يدل أن الله تعالى عليم بأحوالهم جميعاً، سميع بمناجاة المسلمين واستغاثتهم وتوسلهم إلى الله راجين منه النصر، كما يدل على أنه . سبحانه . قدر لهم هذا اللقاء لعلمه بأحوالهم أيضاً، والجملة التالية " ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة " بدل من الجملة السابقة أو بيان لما أجمله قوله تعالى " ليقضي الله أمراً كان مفعولاً" ففصلت عنها لكمال الاتصال. ويتخلل هذا السياق الموجز المحكم تصوير بياني بديع لحال المسلم والكافر، فصور الكفر بالهلاك بجامع سوء العاقبة مع عدم بقاء الأثر، كما صور الإسلام بالحياة بجامع بعث الروح ووضوح الثر وظهور الفائدة(٤) ونلمح الوعد والوعيد بين طيات النص مما يمهد لفاصلتها ويناسب المقام.

١ . البحر المحيط ٣٢٨/٥

٢ تفسير أبي السعود ٢٤٠/٢

٣ . سورة الإسراء الآية ١٥ يراجع تفسير البغوي ٣٦٣/٣

٤ أشار إلى ذلك أبو السعود في تفسيره ٢٤٠/٢ وهي بمثابة قوله تعالى " أومن كان ميتاً فأحييناه " وكنتم أفضل جعل الصورة من المجاز المرسل لعلاقة المسببية، حيث عبر بالمسبب (يهلك، يحيى) وأراد السبب فيهما وهو (الكفر، والإيمان) فهذا يختلف عن (أومن كان ميتاً فأحييناه) لأنه تصوير للضلال بالموت، والهداية بالإحياء، وهو ليس موتاً حقيقة ولا حياة حقيقية بخلاف الآية موضوع البحث فالهلاك حقيقي سواء كان في الدنيا أو في الآخرة، وكذلك الحياة بالإيمان وهذا ما يوحي به قوله (عن بينة) والله أعلم، هذا.. ويرى أبو حيان أن التعبير على حقيقته، والمراد: ليقتل من قتل من كفار قريش وغيرهم عن بيان من الله وأعدار بالرسالة ويعيش من عاش عن بيان منه وأعدار لاحجة لأحد عليه، وذكر

وبالتأمل في التعبير بالمضارع (يهلك . يحيى) نستشعر أن كل منهما فعل جليبه صاحبه لنفسه وبمحض إرادة منه، فالهالك حقيقي بفعل فاعل هو إرادة الكافر نفسه باعتناقه لعقيدة باطلة لا يزال متمسكاً بها حتى تؤدي به إلى الهلاك المحقق. وكذلك في الفعل (يحيى) والله أعلم

وفاصلة الآية (وإن الله لسميع عليم) جملة خبرية مؤكدة تذيلاً يشير إلى أن الله سميع دعاء المسلمين بالنصر وسميع ما جرى بينهم من الحوار في شأن الخروج إلى بدر ومن مودتهم أن تكون غير ذات الشوكة هي إحدى الطائفتين التي يلاقونها، وغير ذلك، وعلیم بما يجول في خواطرهم من غير الأمور المسموعة وبما يصلح لهم ويبني عليه مجد مستقبلهم<sup>(١)</sup>

والآية التالية، قوله تعالى: " ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم " آية ٥٣

يخبر تعالى عن تمام عدله، وقسطه في حكمه، بأنه تعالى لا يغير نعمة أنعمها على أحد إلا بسبب ذنب ارتكبه، كما قال تعالى: " إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال " (٢)

بدأ سياق النص بالإشارة إلى الأخذ المذكور في الآية السابقة عليها قوله تعالى: " فأخذهم الله بذنوبهم إن الله قوي شديد العقاب " (٣) وقد فصلت عنها للاستئناف

ابن اسحاق وغيره: أن الله تعالى جعل قصة بدر عبرة وآية ليؤمن من آمن عن وضوح

وبيان ويكفر من كفر عن مثل ذلك. فحملها على المجاز . البحر المحيط ٥ / ٣٢٩

١. التحرير والتنوير ٢١/١١ والتذييل: أحد طرق الإطناب تختتم به جملة الكلام لإفادة التوكيد

ولا يكون إلا بجملة ومنه ما يجري مجرى المثل وما لا يجري مجرى المثل.

٢. سورة الرعد آية ١١. تفسير ابن كثير ٣ / ٢٨٨

٣. الأنفال ٥٢

البياني، وذكرها في معرض الحديث عن غزوة بدر وحال المسلمين والمنافقين في ذلك الوقت لبيان أن ذلك جرى على سنة الله في خلقه فإنه تعالى لا يسلب نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ذلك بأنفسهم وكما حدث ذلك في قوم فرعون فإنه واقع بكل من تسول له نفسه الاستهزاء بقدره الله والسخرية من الدين الذي بعث به رسله. وهذا إنذار لقريش أن يحل بهم مثل ما حل بغيرهم من الأمم الذين بطروا النعمة فالتعبير بالصيغة الاسمية (مغيراً) يخدم السياق في بيان أنها سنة الله تجري في جميع الأزمنة. (١) " وأن الله سميع عليم " معطوف على " بأن الله لم يك مغيراً " أي ذلك بأن الله يعلم ما يضمرة الناس وما يعملونه ويعلم ما ينطقون به فهو يعاملهم بما يعلم منهم، وتقديم صفة (سميع) قبل صفة (عليم) يومئ إلى أن التغيير الذي أحدثه المعرض بهم متعلق بأقوالهم وهو دعوتهم آلهة غير الله فهو سميع لدعواتهم عليم بنياتهم. (٢) وهكذا تألفت فاصلة الآية مع سياق النص فيها مع ارتباطها الوثيق بما قبلها وما بعدها.

وهذا ما نجده في جميع فواصل أي الذكر الحكيم إذا عرفت مناسباتها ودلالات السياق المؤدية إلى الفاصلة المذكورة.

وفي الآية التالية قوله تعالى: " **وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم** ". آية ٦١، نجد تعلق السياق بالآيات السابقة واللاحقة. وهذا من خصائص النظم القرآني كما نعلم. فبعد أن أمرهم الله تعالى بإعداد العدة وإرهابهم فقال تعالى في الآية السابقة عليها " وأعدوا لهم ما استطعتم من من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم..... " (٣) ذكر لهم الميل

١. التحرير والتتوير ١١ / ٤٥

٢. السابق ١١ / ٤٦

٣. سورة الأنفال الآية ٦٠

إلى المسالمة إذا بدت منهم أولاً، وقد استخدم النص القرآني الحرف (إن) الموضوع للشرط في المستقبل أي (تعليق حصول الجزاء على حصول الشرط في الاستقبال فإذا دخلت على الماضي كما في الآية (جنحوا) فهو ماض لفظاً مستقبلي معنى،<sup>(١)</sup> والأصل فيها أن تدخل على الشرط غير المجزوم بوقوعه، ولذلك ينبغي أن تدخل على المضارع فيقال مثلاً (إن تكرمني أكرمك) ولا يجيء الماضي مع (إن) لفظاً إلا لغرض بلاغي وهو إبراز غير الحاصل الذي يحدث في المستقبل في معرض الحاصل الذي وقع في الماضي وتحقق وقوعه ويكون ذلك لأغراض عديدة<sup>(٢)</sup> والجنوح: الميل والسلم (الصلح) أي إذا وقعت الرهبة في قلوبهم بمشاهدة ما بكم من قوة واستعداد فمالوا للصلح فاجنح لها أي للسلم<sup>(٣)</sup> والأمر في... (فاجنح) أمر ملزم من الله تعالى إلى نبيه (صلى الله عليه وسلم) وهو في ذات الوقت أمر صادر من عليم خبير.

يقول ابن العربي: "إذا كان المسلمون على عزة، وفي قوة ومنعة، ومقانب عديدة، وعدة شديدة: فلا صلح حتى تطعن الخيل بالقنا، وتضرب بالبيض الرقاق الجماجم، وإن كان للمسلمين مصلحة في الصلح لانتفاع يجلب به، أو ضرر يندفع بسببه فلا بأس أن يبتدئ المسلمون به إذا احتاجوا إليه، وأن يجيبوا إذا دعوا إليه وقد صالح النبي صلى الله عليه وسلم أهل خيبر على شروط نقضوها، فنقض صلحهم، وقد وادع الضمري، وقد صالح أكيدر دومة، وأهل نجران، وقد

١. وتشارك (إذا) مع إن في كل ذلك إلا أنها تدخل على الشرط المجزوم بوقوعه

٢. يراجع بغية الإيضاح ١/ ٩٧ للشيخ عبد المتعال الصعيدي

٣. يراجع تفسير أبي السعود ٣/ ٢٤٦



هادن قريشا عشرة أعوام حتى نقضوا عهده، وما زالت الخلفاء والصحابه على هذه السبيل سالكة، وبالوجه التي شرحناها عاملة<sup>(١)</sup>.  
والأمر بالتوكل على الله بعد الأمر بالجنوح إلى السلم ليكون النبي (صلى الله عليه وسلم) معتمداً في جميع شأنه على الله، ومفوضاً إليه تسيير أموره، لتكون مدة السلم مدة تقو واستعداد، وليكفيه الله شر عدوه إذا نقضوا العهد، ولذا عقب الأمر بالتوكل بتذكيره بأن الله سميع عليم أي السميع لكلامهم في العهد، العليم بضمايرهم فهو تعالى يعاملهم على ما يعلم منهم، وقوله فاجنح مشاكلة لـ (اجنحوا) وطريق القصر في قوله: هو السميع العليم أفاد قصر معنى الكمال في السمع والعلم، أي: فهو سميع منهم ما لا تسمع ويعلم ما لا تعلم. وقصر هذين الوصفين بهذا المعنى على الله - تعالى - عقب الأمر بالتوكل عليه يفضي إلى الأمر بقصر التوكل عليه لا على غيره. وفي الجمع بين الأمر بقصر التوكل عليه وبين الأمر بإعداد ما استطاع من القوة للعدو: دليل بين على أن التوكل أمر لا ينفى تعاطي الأسباب.<sup>(٢)</sup>

### ومن الأسماء المقترنة في سورة الأنفال: الغفور الرحيم

وقد ورد هذين الاسمين الجليلين في موضعين من السورة وهما:  
قوله تعالى: " فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً، واتقوا الله إن الله غفور رحيم " ٦٩

١ - أحكام القرآن ٢ / ٤٢٧ لمحمد بن عبد الله الأندلسي (ابن العربي) ط ١: د.ت دار الكتب

العلمية

٢ . التحرير التنوير ٥٩/١١

قوله تعالى: " يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم  
الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور  
رحيم " ٧٠

المعنى العام للاسمين : (الغفور . الرحيم)

هما من أكثر الأسماء اقتراناً في كتاب الله تعالى، حيث اقتربنا بذات الترتيب في  
سبعة وخمسين موضعاً من القرآن<sup>(١)</sup>

وأصل الغفور: العُفْر وهو التغطية والستر، وغفر الله ذنبه أي سترها، وتقول  
العرب: اصبح ثوبك بالسواد فهو أغفر لوسخه<sup>(٢)</sup> والغفور هو الذي يستر ذنوب  
عباده . سبحانه .

رحيم: على وزن فعيل بمعنى فاعل، أي راحم، وهي صيغة مبالغة، والمعنى:  
أنه تعالى المثيب على العمل فلا يضيع عمل عامل من ذكر أو أنثى وهو  
مؤمن، ويضاعف لهم الأجر والثواب برحمته جل وعلا.

وإذا تأملنا سياق الآيات المختتمة فاصلتها بـ " الغفور الرحيم " نلاحظ . مع  
اختلاف المواقف والمناسبات في كل آية . أنها تُسبق جميعها بتوبة من العبد  
يعقبها بيان غفران الله رحمة بهم.

ففي الآيتين المتتاليتين في سورة الأنفال نجد في الأولى أمر على سبيل الإباحة  
ببيع للمسلمين أخذ الغنائم حلالاً طيباً، ولكن يعقبه بعطف يُراد منه التزام التقوى

١ . واقترب " الرحيم الغفور " في موضع واحد من القرآن الكريم في قوله تعالى من سورة سبأ  
يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم  
الغفور " آية ٢ ولهذا الاختلاف دلالاته السياقية أيضاً.

٢ . لسان العرب ٥ / ٢٥ / ٢٩ / تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج ص ٣٧ تحقيق أحمد يوسف  
الدقاق ط ٢ دار المأمون . دمشق ١٣٩٩ هـ

والاستمرار عليها. فالجملتان " كلوا... واتقوا " إنشائيتان لفظاً ومعنى والأولى للإباحة والثانية طلب الدوام والاستمرار.

ولغرض التشريك في الحكم عطف الثانية على الأولى، ثم قال " إن الله غفور رحيم " بياناً لعاقبة ما قد يقع منهم عفواً أو جهلاً مع التقوى فإن الله يستره ويغفره رحمة ولطفًا بعباده المخلصين ولذلك فُصلت جملة " إن الله.. " لاختلافها عما قبلها خبرًا وإنشاءً فبينهما كمال انقطاع بدون إيهام خلاف المراد. والله أعلم.

أما قوله تعالى: " يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم " ٧٠ المناسبة:

قيل: لما أسر من أساري المشركين روي أنه تكلم قوم منهم بالإسلام، ولم يمضوا بذلك عزيمة، ولا اعترفوا به اعترافاً جازماً. ويشبه أنهم أرادوا أن يقربوا من المسلمين، ولا يبعدوا من المشركين فنزلت الآية.<sup>(١)</sup>

و يقول ابن عاشور: " كان العباس في جملة الأسرى وكان ظهر منه ميل إلى الإسلام. قبل خروجه إلى بدر، وكذلك كان عقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب، ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وقد فدى العباس نفسه وفدى ابني أخويه: عقيلًا ونوفلاً. وقال للنبي - صلى الله عليه وسلم - تركتني أتكف قريشاً. فنزلت هذه الآية في ذلك، وهي ترغيب لهم في الإسلام في المستقبل، ولذلك قيل لهم هذا القول قبل أن يفارقوهم<sup>(٢)</sup> .

استخدم النص القرآني في خطاب الرسول " يا أيها " وهي من أكثر أدوات النداء استخداماً في القرآن الكريم، (يا) حرف نداء، وُضع في أصله لنداء البعيد و(أي)

١ . أحكام القرآن لابن العربي ٤٣٨/٢، ويراجع الجامع لأحكام القرآن ٧ / ٤٢٨ للقرطبي

٢ . التحرير والتنوير ١١ / ٨٠

وصلة إلى نداء ما فيه الألف واللام... وهو اسم مبهم مفتقر إلى ما يوضحه ويزيل إبهامه، فلا بد أن يردفه اسم جنس أو ما يجري مجراه يتصف به حتى يصح المقصود بالنداء، وفي هذا التدرج من الإبهام إلى التوضيح ضرب من التأكيد، والتشديد، وكلمة التنبيه المقحمة بين الصفة و موصوفها لفائدتين: معاضدة حرف النداء، ومكانفته بتأكيد معناه، ووقوعها عوضاً ممن يستحقه (من الإضافة) وكثرة النداء في القرآن مما على هذه الطريقة لاستقلال القرآن بأوجه من التأكيد وأسباب المبالغة؛ لأن كل ما نادى الله له عباده من أوامره ونواهيه، وعظاته، وزواجره ووعده ووعيده واقتصاص أخبار الأمم الدراجة عليها وغير ذلك مما انطلق به كتابه أمور عظام وخطوب جسام ومعان عليهم أن يتيقظوا لها ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم إليها وهم عنها غافلون فاقتضت الحال أن ينادوا بالآكد الأبلغ<sup>(١)</sup>

وبتأمل النداء في الآية على الصورة التي يراها الزمخشري نلاحظ أن النداء وافق غرض تأكيد الأمر الملزم للنبي (صلى الله عليه وسلم): "قل لمن في...." وتأکید للوعد الإلهي بغفران الذنوب وشمولهم برحمته (جل وعلا)، وبذلك دل سياق الآية من أولها على فاصلتها مروراً بسائر جمل الآية القرآنية.

ونداء النبي في القرآن دون الاسم الصريح تشريعاً له ورفعاً لمحلته<sup>(٢)</sup>. ومعنى "من في أيديكم" أي في ملككم ووثاقتكم، فاستعار الأيدي للامتلاك والسيطرة<sup>(٣)</sup>. بجامع حرية التصرف في المملوك والتمكن منه، وقد ساعد الحرف (في) على تصوير عمق التمكن. وقد دل السياق القرآني في تعبيره بـ (إن)

١ - يراجع البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية ص ٣٧٩ د/

محمد محمد ابو موسى . مكتبة وهبة ط٢ ١٤٠٨ هـ . ١٩٨٨ م

٢ . يراجع تفسير الكشاف ٣ / والبلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ص ٣٨٠

٣ . يقول ابن عاشور: "فالأيدي مستعارة للملك. وجمعها باعتبار عدد المالكين ١١ / ٨٠

الداخلة على الفعل المضارع (يعلم) على التفاضل بحدوث إسلامهم في المستقبل، فالشرط وإن لم يُجزم بوقوعه في المستقبل فإن الجواب مجزوم بحدوثه عند حدوث الشرط وهو وعد من الله تعالى لعباده الأوابين.

والخير أحد المعاني التي تتبع من القلب أولاً حتى تصدق وتصدق، والتعبير بالفعلين (يؤتكم، ويغفر لكم) يدل على التفاضل المناسب لفاصلة الآية كما يحمل البشرى لهؤلاء الأسرى، في الدنيا برد الغنائم لهم، ثم بغفران الذنوب في الآخرة وهو خير ما بعده خير.

والتذليل بقوله: والله غفور رحيم للإيماء إلى عظم مغفرته التي يغفر لهم؛ رحيم بعباده، والمبالغة في لفظ "غفور" المقتضي قوة المغفرة وكثرتها، مستعمل فيهما باعتبار كثرة المخاطبين وعظم المغفرة لكل واحد منهم<sup>(١)</sup> وتدخل هذه الفاصلة تحت (الإرصاد أو التسهيم والتوشيح) إلى جانب ما تضيفه على الكلام من تأكيد البشرى وتعظيم أثر الخير الذي تحمله القلوب وتظهر به إلى النور.

وآخر الأسماء المقترنة في سورة الأنفال: العليم الحكيم

حيث اقترنا في موضع واحد من السورة في قوله تعالى: "وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم والله عليم حكيم" ٧١

١. يراجع التحرير والتنوير ١١ / ٨١

٢ - عرفه البلاغيون بأنه: أن يجعل قبل العجز من الفقرة أو البيت ما يدل على العجز إذا عرف الروي وهو قريب من مراعاة النظير؛ لأنه لا يدل على العجز إلا ما كان بينه وبين العجز مناسبة، وكان شديد الصلة به بل كثيراً ما يكون الدال على العجز هو نفس لفظ العجز وهو من جيد الكلام يراجع علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع ص ١٦٤، ١٦٥. د/ بسيوني عبد الفتاح فيود. دار المعالم الثقافية للنشر والتوزيع. الإحساء

وجاءت الآية الكريمة عقب الآية السابقة التحليل مباشرة ولذا فالترابط واضح والسياق يفضي بعضه إلى بعض، والكلام عن قد تسول له نفسه من الأسرى بمجاراة المسلمين لضمان السلامة دون ترك الشرك وأهله فبين الله لرسوله الحقيقة؛ فقال: " وإن يريدوا خيانتك " أي إن كان هذا القول منهم خيانة ومكراً، " فقد خانوا الله من قبل " بكفرهم ومكرهم بك وقتالهم لك، فأمكنك منهم، وإن كان هذا القول منهم خيراً ويعلمه الله فيقبل ذلك منهم ويعوضهم خيراً مما خرج عنهم ويغفر لهم ما تقدم من كفرهم وخبانتهم ومكرهم.

والخيانة: نقض العهد وما في معنى العهد كالأمانة. والعهد، الذي أعطوه، هو العهد بأن لا يعودوا إلى قتال المسلمين، وهذه عادة معروفة في أسرى الحرب إذا أطلقوهم فمن الأسرى من يخون العهد ويرجع إلى قتال من أطلقوه، فالعهد، الذي أعطوه، هو العهد بأن لا يعودوا إلى قتال المسلمين، وهذه عادة معروفة في أسرى الحرب إذا أطلقوهم فمن الأسرى من يخون العهد ويرجع إلى قتال من أطلقوه وخبانتهم الله، التي ذكرت في الآية، يجوز أن يراد بها الشرك؛ فإنه خيانة للعهد الفطري الذي أخذ الله على بني آدم فيما حكاه بقوله: " وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم ... الآية. فإن ذلك استقر في الفطرة، وما من نفس إلا وهي تشعر به، ولكنها تغالبها ضلالات العادات واتباع الكبراء من أهل الشرك<sup>(١)</sup>.

وجواب الشرط محذوف دل عليه قوله: فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم .  
وتقديره: فلا تضرك خيانتهم، أو لا تهتم بها، فإنهم إن فعلوا أعادهم الله إلى يدك كما أمكنك منهم من قبل<sup>(٢)</sup>.

١ . التحرير والتنوير ١١ / ٨٣

٢ المرجع السابق

يقول أبو السعود: "والكلام مسوق من جهته تعالى لتسليته عليه الصلاة والسلام بطريق الوعد له والوعيد لهم" (١). ولذا كان المناسب للسياق ختم الآية بفاصلة تدل على مضمونها فقال تعالى " والله عليم حكيم " أي عليم بنياتهم وما يستحقونه من العقاب، حكيم يفعل وفق ما تقتضيه حكمته البالغة. وقال ابن عاشور: " والله عليم حكيم تذييل، أي عليم بما في قلوبهم حكيم في معاملتهم على حسب ما يعلم منهم (٢) وهذا التذييل يعتبر من تشابه الأطراف وهو نوع من مراعاة النظر (٣)

### تعقيب:

#### مما سبق، تبين ما يلي:

١. أن انتلاف فواصل الآيات . المنتهية بأسماء الله المقترنة . مع مضمون آياتها بما تحمله من دلالات التراكيب وخصائص الألفاظ الصوتية والأسلوبية هو نوع من (مراعاة النظر) الذي يعتمد على الجمع بين الأمور المتناسبة بغير تضاد، كما عرفه البلاغيون. ويدخل تحت هذا النوع تشابه الأطراف، والإرصاد، وقد توافرت جميعها في الآيات السابقة. يقول السيوطي نقلاً عن ابن أبي الإصبع: " لا تخرج فواصل القرآن عن أحد أربعة أشياء: التمكين والتصدير والتوشيح والإيغال. (٤)

١، تفسير أبو السعود ٣ / ٢٤٩

٢ . التحرير والتنوير ١١ / ٨٣

٣ . وهو: ان يختم الكلام بما يتناسب مع أوله

٤ - يراجع الإتيان في علوم القرآن ٢ / ١٠١ وما بعدها. وقد وجدت . في الآيات السابقة (التمكين وهو الانتلاف . التوشيح) وزدنا عليه التذييل غير الجار مجرى المثل، أما التصدير (رد العجز على الصدر والإيغال) فلم يتوفر في الآيات السابقة.

٢. أن الدلالة لا تقتصر على ما توحى به التراكيب من مجازات أو كنايات أو تعريض أو غيرها مما هو مشهور لدى البلاغيين وإنما تعتبر دلالات الألفاظ على المعاني أو الألفاظ على الألفاظ السابقة واللاحقة أو المعاني على الألفاظ هي من الدلالات التي يقتضيتها السياق لتأدية المعنى المراد وإيصاله إلى الأذهان بطريقة صحيحة، فهو (النظم) الذي اهتدى إليه الإمام عبد القاهر، وما نحن في سياق إثبات أحد فنون البديع من مراعاة النظر أو تشابه الأطراف نتعرض لسياق يحمل الاستعارات والكنائيات كما يحمل التقديم والتأخير والحذف والخبر والإنشاء والإطناب والفصل والوصل وغيرها وقد نتعرض لطباق وجناس وهذه هي البلاغة: هي كل ما تنطق به الجملة الأدبية من خصائص التراكيب ودلالات التراكيب. وهذا هو ما يحاول الغرب إثباته بطريق عصري مرجعه عربي أصلي.

٣- إن الكلام جسد وروح. فجسده النطق وروحه معناه، فواجب على الصانع أديباً كان أو شاعراً أن يصنع صنعة متقنة، لطيفة مقبولة، حسنة مجتابة لمحبة السامع له والناظر إليه، فيحسُّه جسماً ويحققه روحاً. أي يتقنه لفظاً، ويبدعه معنى، ويجتنب إخراج على ضد هذه الصفة.. بل يسوي أعضائه وزناً، ويعدل أجزائه تأليفاً، ويحسن إصابة، ومن أحسن صنعا من الله؟<sup>(١)</sup>

#### • مطلع السورة

إن مطلع كل سورة من سور الكتاب الحكيم إنما هو دلالة على محتواها، وهادٍ إلى نمط تراكيبيها؛ وجاءت فاتحة سورة الأنفال على أحسن الوجوه وأبلغها في تأدية الألفاظ لما تدل عليه حال السورة الكريمة

١. يراجع الطراز للعلوي ١



قال تعالى: " يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين " آية ١  
فوق بدأت بجملة خبرية 'تثير فضول المتلقي وتجعله مستشرفاً حكم الغنائم التي يسألون عنها، فالى جانب حسن الابتداء الذي تميزت به السورة . من عذوبة في اللفظ وسهولة في النطق والبعد عن التعقيد ومطابقتها لمقتضى الحال مما يجعل المتلقي مقبلاً، مصغياً ومتأملاً . تميزت فاتحة السورة ببراعة الاستهلال بما تضمنت من إشارات إلى ما سيق الكلام لأجله إذ تدور أحداث السورة حول أحكام الغنائم.. ببيان تحليلها للنبي صلى الله عليه وسلم بعد أن كانت محرمة على من كان قبله، بقوله صلى الله عليه وسلم أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي:

(نصرت بالرعب مسيرة شهر . وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيا رجل من أمتي أدركته الصلاة، فليصل ،وأحلت لي الغنائم، ولم تحل لأحد قبلي .  
وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة)  
وذلك في قوله تعالى يسألونك عن الأنفال.. ثم قوله تعالى: " واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله... الآية ٤١ .

١ - ذكر السيوطي في إيقانه نقلاً عن ابن أبي الإصبع وغيره: أن فواتح سور القرآن على عشرة أنواع من الكلام وهي التحميد والتسبيح وحروف التهجي والجملة الخبرية والنداء والقسم والشرط والاستفهام والدعاء والتعليل ثم دمج بعض الأنواع ونظمها في بيتين نقلاً عن أبو شامة فقال:

أثنى على نفسه سبحانه بثبو ت الحمد والسلب لما استفتح السورا  
والأمر والشرط والتعليل والقسم الد عا حروف التهجي استفتح الخيرا

ثم بيان صفات المؤمنين وذلك في قوله تعالى: " إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون \* الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون \* أولئك هم المؤمنون حقاً". الآيات ٢.

٤

والحديث المستفيض عن غزوة بدر. يوم الفرقان، يوم التقى الجمعان مؤكدا فيه أن هذه الغزوة بملابساتها، وبما ترتب عليها في تاريخ الحركة الإسلامية، بل في التاريخ البشرى كله: تقوم معلماً ضخماً في طريق تلك الحركة، وفي طريق هذا التاريخ، ثم التهوين من شأن الكافرين، وقوتهم. في مثل قوله تعالى: " إذ يريكهم الله في منامك قليلاً ولو أراكم كثيراً لفشلتم ولتنازعتكم في الأمر ولكن الله سلم ". الآية ٤٣ . وفي مثل قوله تعالى ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا إنهم لا يعجزون " الآية ٥٩

وفي مثل قوله تعالى: " ذلكم وأن الله مؤهن كيد الكافرين " الآية ١٨ والأمر بامتلاك القوة التي تصل حد الإرهاب لأعداء الله تعالى وأعداء المسلمين. في مثل قوله تعالى : " وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم " الآية ٦٠ و بيان حكم الأسرى في مثل قوله تعالى: " ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض... الآيات ٦٧-٧٠ وتخصيص الأقارب وذوى الأرحام

بالميراث في قوله تعالى وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض. . إلى آخر السورة (١).

وبتأمل أول السورة نجدها . في تقسيم موجز معجز . تضمنت معظم ما سبق . وهذا من براعة الاستهلال .

والدلالات السياقية للآية تسلم إلى فاصلتها حيث تتصل ألفاظ الآية من أولها إلى آخرها فقد بدأ النص القرآني بالجملة الخبرية الفعلية (فعلها مضارع) مما ينبئ بتكرار السؤال في شأن غنائم الحرب ، وتكرار السؤال ينبئ أيضا أن أمرها لم يكن معلوماً للنبي (صلى الله عليه وسلم) (٢) ثم عقب الخبر بجملة إنشائية يأمر فيها الله تعالى نبيه بتحديد أمر هذه الغنائم فبين أنها لله وللرسول يتولى توزيعها كيف شاء، وقد فصل بين الجملتين لاختلافهما خبرا وإنشاء (لفظا ومعنى) وهو أحد صور كمال الانقطاع، ويعطف على جملة الأمر أمرا آخر بالفاء ؛ لينبه على ضرورة التزام أمره تعالى، وترك المشاحنة والمشاجرة فيمن يأخذ الغنائم. وقد تكرر لفظ الجلالة ولم يذكر مضمرا مع العلم به لتربية المهابة والجلال من ذات الله تعالى والامتنال لما أمر به نبيه (صلى الله عليه وسلم) بلا مراجعة، ولا يعني الأمر بتقوى الله هنا أنهم على غير تقوى بل يريد المداومة على مراعاة حق الله تعالى، وتعاليم الدين الحنيف الذي يؤلف بين قلوب المؤمنين قال تعالى " محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم....." (٣) أما الأمر بإصلاح ذات البين (وأصلحوا ذات بينكم)

١ . يراجع مقال: مفاتيح سورة الأنفال . موقع هدى الإسلام . لفضيلة الدكتور عبد الحي حسين

الفرماوي رئيس قسم التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر والمشرف العام على الموقع

٢ . تقدم ذكر مناسبتها في أول البحث

٣ . سورة الفتح الآية ٢٩

فهو أمر ملزم لتكتمل التقوى والطاعة لله والرسول، و: كأن موضع (الأمر بالإصلاح) بين أمرين (التقوى، والطاعة لله والرسول) يوحي أن هذا الإصلاح تحقيق لتقوى الله وامتثالاً لأوامره تعالى وأوامر نبيه المصطفى، وقوله: " وأطيعوا الله ورسوله " من ذكر العام بعد الخاص فإصلاح ذات البين هي من الطاعة. قوله " إن كنتم مؤمنين " جملة شرطية تتعلق بالأوامر السابقة فإن تحققها يدل على كمال الإيمان والجملة شرطية دخلت (إن) فيها على الفعل الماضي وهي لا تشكك في إيمان المؤمنين ولكنها تضعهم أمام محك حرج عليهم أن يتيقظوا له فإن الإيمان يزيد وينقص وعليهم أن يستزيدوا مما يقربهم من الله تعالى ويرفع درجاتهم ويقوي إيمانهم. وبهذا يختم الحق تعالى الآية وبها نلاحظ التناسب بين ألفاظ الآية بعضها مع بعض وبين الألفاظ والمعاني الدالة عليها. ليس هذا فحسب بل إننا نلاحظ أن موضوع السورة من أولها إلى آخرها يدور حول غزوة بدر وحال المسلمين من الغنائم وعلاقتهم مع بعضهم البعض حين تدخل الماديات بينهم، واختباراً لقوة إيمانهم وتمسكهم بطاعة الله ورسوله والتزامهم بصلة رحمهم وتكاتفهم في وجه عدوهم وهذا ما اشتملت عليه أول آية في السورة.

## الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على أشرف الكائنات، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الثقات، وبعد:

فإن أساليب العبارة القرآنية ومعانيها ودلالاتها المختلفة لا يمكن أن يحيط بها مثل هذا البحث، وحسبه أن يلم بأطراف منها ويدل عليها، ولما كانت مدار الأمور تقاس بحسن خواتيمها فإننا نسأل العلي القدير أن يكون عملنا هذا ممن تحسن خواتيمه، ونستغفر الله تعالى عن أي تقصير قد حصل من دون قصد ولقد خلصت مسيرة البحث إلى جملة نتائج أوجزها فيما يأتي:

١. أن انتلاف فواصل الآيات . المنتهية بأسماء الله المقترنة . مع مضمون آياتها بما تحمله من دلالات التراكيب وخصائص الألفاظ الصوتية والأسلوبية هو نوع من (مراعاة النظر) الذي يعتمد على الجمع بين الأمور المتناسبة بغير تضاد، كما عرفه البلاغيون. ويدخل تحت هذا النوع تشابه الأطراف، والإرصاد، وقد توافرت جميعها في الآيات.

٢. أن الدلالة لا تقتصر على ما توحى به التراكيب من مجازات أو كنايةات أو تعريض أو غيرها مما هو مشهور لدى البلاغيين وإنما تعتبر دلالات الألفاظ على المعاني أو الألفاظ على الألفاظ السابقة واللاحقة أو المعاني على الألفاظ هي من الدلالات التي يتطلبها السياق لتأدية المعنى المراد وإيصاله إلى الأذهان بطريقة صحيحة فهي إذن (النظم) الذي اهتدى إليه الإمام عبد القاهر، وها نحن في سياق إثبات أحد فنون البديع من مراعاة النظر أو تشابه الأطراف نتعرض لسياق يحمل الاستعارات والكنايةات كما يحمل التقديم والتأخير والحذف والخبر

والإنشاء والإطناب والفصل والوصل وغيرها وقد نتعرض لطباق وجناس وهذه هي البلاغة: هي كل ما تنطق به الجملة الأدبية من خصائص التراكيب ودلالات التراكيب. وهذا هو ما يحاول الغرب إثباته بطريق عصري مرجعه عربي أصلي.

٣- إن الكلام الواحد جسداً وروحاً. فجسده اللفظ وروحه معناه، فواجب على الصانع أديباً كان أو شاعراً أن يصنع صنعة متقنة، لطيفة مقبولة، حسنة مجتلبة لمحبة السامع له والناظر إليه، فيحسُّه جسماً وبحققه روحاً. أي يتقنه لفظاً، ويبدعه معنى، ويجتنب إخراجَه على ضد هذه الصفة.. بل يُسوي أعضائه وزناً، ويعدل أجزائه تأليفاً، ويُحسِّن إصابته، ومن أحسن صنعةً من الله ﴿١﴾

٤. أن حسن التخلص أحد الفنون البلاغية البديعة التي ظهرت في القرآن الكريم عامة وفي هذه السورة خاصة، وهو رد على من اعترض على وجود هذا الفن في القرآن، بل هناك حسن التخلص والاستطراد والاقتضاب، وكلها تؤدي في سياق معجز يخلو من التكلف والتعقيد.

وفي خاتمة كلمتي أهمس في أذن البلاغيين بضرورة التوسع في البحث الدلالي وتطبيقه على النصوص الشعرية والنثرية، وعقد مقارنات بين القديم والحديث في هذا العلم وعدم قصره على علم اللغة وأصوله.

كما أوصي بضرورة الاهتمام بفنون البديع المختلفة ومنها حسن التخلص، ولزوم ما لا يلزم في الشعر، وخدمة السياق لكل فن من الفنون.

١. يراجع الطراز للعلوي ص

وأخيراً.. " إن القرآن ليس كتابا للتلاوة ولا للثقافة وكفى ؛ إنما هو رصيد من الحبوية الدافقة، وإيحاء متجدد في المواقف والحوادث، ونصوصه مهياً للعمل في كل لحظة، متى وجد القلب الذي يتعاطف معه ويتجاوب، ووجد الطرف الذي يطلق الطاقة المكنونة في تلك النصوص ذات السر العجيب " في ظلال القرآن  
٢٧٣٦ /٥

## وبالله التوفيق

## مراجع البحث

### . القرآن الكريم

١. يراجع الإتقان في علوم القرآن . لجلال الدين السيوطي . دار الندوة الجديدة . بيروت . لبنان .
٢. أحكام القرآن . محمد بن عبد الله الأندلسي (ابن العربي) . ط ١: د.ت دار الكتب العلمية
٣. الإيضاح، الفزويني
٤. البحر المحيط لأبي حيان
٥. بدائع الفوائد . ابن قيم الجوزية
٦. البرهان في علوم القرآن . بدر الدين الزركشي
٧. بغية الإيضاح . للشيخ عبد المتعال الصعيدي
٨. البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية. د/ محمد محمد ابو موسى . مكتبة وهبة ط ٢ ١٤٠٨ هـ . ١٩٨٨ م
٩. البيان والتبيين، الجاحظ
١٠. التحرير والتنوير . محمد الطاهر بن عاشور
١١. التلخيص في القصيدة العربية من الصيغة إلى البنية . هاني توفيق نصر الله، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات المجلد (١٤)، العدد (٥)، ١٩٩٩ م: ١٠٤
١٢. تراجم الأعلام . المكتبة الإسلامية . عرض الكتب . إسلام ويب.
١٣. تفسير البغوي
١٤. تفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم . أبي السعود



١٥. تفسير أسماء الله الحسنى . للزجاج . تحقيق أحمد يوسف الدقاق ط ٢ دار  
المأمون . دمشق ١٣٩٩ هـ
١٦. تفسير الكشاف . للزمخشري
١٧. تفسير القرآن العظيم . ابن كثير
١٨. تهذيب اللغة . للأزهري
١٩. الجامع لأحكام القرآن ٧ / ٤٢٨ للقرطبي
٢٠. حلية المحاضرة، الحاتمي
٢١. الخصائص . ابن حني ٢ / ٥١٠ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . المكتبة  
العصرية . صيدا . بيروت
٢٢. دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع ص ١٦٤ ، ١٦٥ . د/  
بسيوني عبد الفتاح فيود . دار المعالم الثقافية للنشر والتوزيع . الإحساء
٢٣. دلالات التراكييد . د/ محمد أبو موسى
٢٤. دلالة الحوار ودورها في الدراسات النحوية . د/ كمال سعد أبو المعاطي  
(رسالة ماجستير) . كلية دار العلوم . جامعة القاهرة . سنة ١٩٩٠ م
٢٥. دلائل الإعجاز . تحقيق محمود شاكر
٢٦. ديوان زهير بن أبي سلمى
٢٧. الرسالة . للإمام الشافعي
٢٨. الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية . محمد خليل هراس ط ٢ دار الهجرة  
/ الرياض ط ٢ عام ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م
٢٩. زهير بن أبي سلمى . شاعر الخير والحق والجمال . سعد إسماعيل شلبي
٣٠. سر الفصاحة . ابن سنان الخفاجي
٣١. سنن الترمذي
٣٢. شأن الدعاء للخطابي ص ٥٧ تحقيق أحمد يوسف الدقاق

٣٣. الصحاح . الجوهري  
٣٤. الصناعتين . أبي هلال العسكري  
٣٥. الطراز للعلوي  
٣٦. علم الدلالة عند العرب . بحث منشور في مجلة جامعة أم القرى لعلوم  
الشريعة واللغة العربية وآدابها . ج ١٥ ع ٢٧ جمادى الثانية ١٤٢٤ هـ  
٣٧. علم الدلالة . د/ احمد مختار عمر  
٣٨- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق (دراسة تطبيقية على السورة  
المكية)، صبحي الفقي  
٣٩. العين، الفراهيدي  
٤٠. العمدة في محاسن الشعر، وآدابه ونقده . ابن رشيق القيرواني . تحقيق  
محمد محيي الدين عبد الحميد . ط الثالثة . المكتبة التجارية القاهرة  
١٩٦٣ م  
٤١. في ظلال القرآن /٣ / ١٤٣١ سيد قطب . دار الشروق  
٤٢. القاموس المحيط . الفيروزآبادي  
٤٣. الكشاف . الزمخشري  
٤٤. لسان العرب . لابن منظور  
٤٥. لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي  
٤٦- المصطلح النقدي في كتب الإعجاز القرآني حتى نهاية القرن السابع  
الهجري، إبراهيم محمد محمود الحمداني، (دكتوراه)، مقدمة إلى كلية  
التربية في جامعة الموصل عام ١٩٩٩ م  
٤٧- المعجم المفصل في علوم البلاغة . د/ إنعام فؤال عكاوي . مراجعة  
شمس الدين . ط الأولى ١٤١٣ هـ . ١٩٩٢ م دار الكتب العلمية بيروت .  
لبنان

- ٤٩- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة وكامل المهندس
- ٥٠- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص ٦٦٤ ووضعه: محمد فؤاد عبد الباقي . دار الفكر ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م
- ٥١- مفاتيح سورة الأنفال . موقع هدى الإسلام . لفضيلة الدكتور عبد الحي حسين الفرماوي رئيس قسم التفسير . جامعة الأزهر لمنهج السياقي ودوره في فهم النص القرآني وتحديد دلالات الألفاظ / مسعود صحراوي
- ٥٢- مقاييس اللغة . ابن فارس
- ٥٣- منهاج البلغاء وسراج الأدباء
- ٥٤- والمنهاج في شعب الإيمان . تحقيق حلمي محمد فودة
- ٥٥- المنهج السياقي ودوره في فهم النص القرآني
- ٥٦- النبأ العظيم ص ١٣ للدكتور / محمد عبد الله دراز . الطبعة الثانية ١٣٩٠ هـ . ١٩٧٠ م
- ٥٧- النحو والدلالة (مدخل لدراسة المعنى النحوي . الدالي) ص ٥٢ د/ محمد حماسة عبد اللطيف ط ١ . القاهرة ١٤٠٣ / ١٩٨٣ م

## محتوى البحث

الموضوع	الصفحة
١. المقدمة.....	٥٨٣
<b>المبحث الأول</b>	
مفهوم الدلالة وموضوعها.....	٥٨٦

- الدلالة عند العرب والغرب.. ..... ٥٨٧.....  
السياق ودوره في فهم النص القرآني..... ٥٩٠.....  
الفاصلة القرآنية وعلاقتها بسياق النص..... ٥٩٢.....

## المبحث الثاني

### الدراسة التطبيقية في سورة الأنفال

- الدلالات السياقية المنتهية لاقتراح أسماء الله الحسنى في فواصل سورة  
الأنفال..... ٥٩٦.....  
بين يدي السورة  
العزیز الحكيم... ..... ٥٩٦ .....  
السمیع العليم..... ٦١٣.....  
الغفور الرحيم..... ٦٢٢.....  
العليم الحكيم..... ٦٢٧.....  
مطلع السورة:..... ٦٤٦.....  
الخاتمة :..... ٦٥١ .....  
المراجع..... ٦٥٤ .....  
المحتوى:..... ٦٥٨ .....